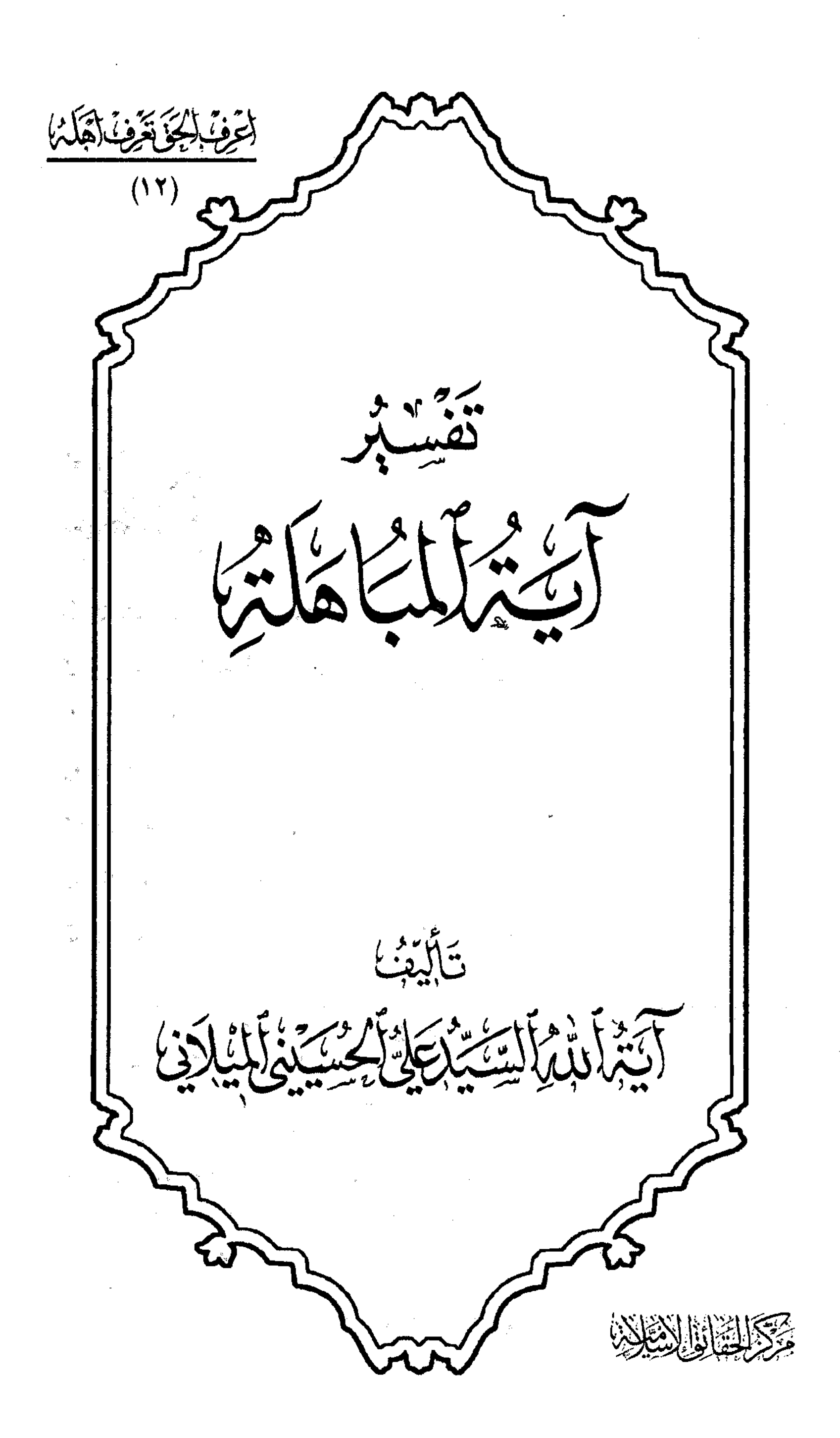


آية المباهلة
تأليف
آية الله السيد علي الحسيني الميلاني
١٢
المكتبة التخصصية للرد على الوهابية



اعرف الحق تعرف أهله
(١٢)

تفسير آية المباهلة

تأليف
آية الله السيد علي الحسيني الميلاني

مركز الحقائق الإسلامية



۞ **الكتاب:** تفسير آية المباهلة

۞ **المؤلف:** آية الله السيد علي الحسيني الميلاني

۞ **نشر:** الحقائق

۞ **المطبعة:** وفا

۞ **الطبعة:** الأُولى ـ ١٤٢٩

۞ **الكميّة:** ١٠٠٠ نسخة

۞ **ردمك:** ٠ – ٧٠ – ٢٥٠١ – ٩٦٤ – ٩٧٨ 978 - 964 - 2501 - 70 - 0

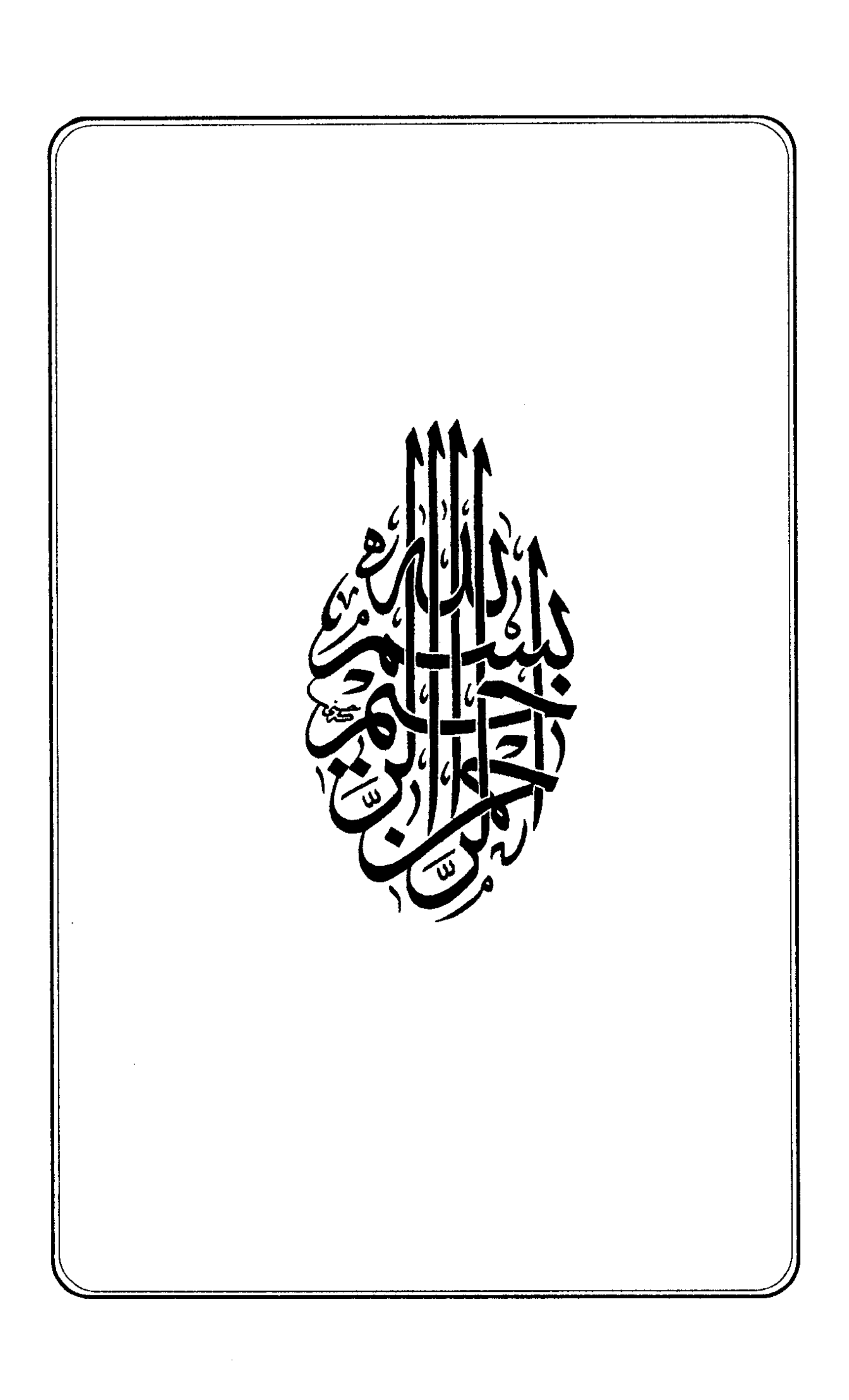
عنوان المركز: قم، شارع صفائيه، فرع ٣٤، فرع ايرانيزاده، رقم ٣٣، الهاتف: ٧٧٣٩٩٦٨-٠٢٥١، الفاكس: ٧٧٤٢٢١٢-٠٢٥١

عنوان مركز النشر: قم، شارع صفائيه، مقابل صندوق قرض الحسنه دفتر تبليغات، الهاتف: ٧٨٣٧٣٢٠-٠٢٥١

عنوان مركز التوزيع في مشهد: شارع الشهداء، خلف حديقة نادري (باغ نادرى)، فرع الشهيد خوراكيان، بناية گنجينه كتاب التجارية، نشر نور الكتاب، الهاتف: ٢٢٢٣١٣٠-٠٥١١

عنوان مركز التوزيع في اصفهان: شارع چهارباغ پائين، أمام ملعب تختي الرياضي، المركز التخصصي للحوزة العلمية في اصفهان، الهاتف: ٢٢٢٣٤٢٣-٠٣١١

الموقع: www.Al-haqaeq.org ـ **البريد الالكتروني:** Info@Al-haqaeq.org


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المركز

نظراً للحاجة الماسّة والضرورة الملحّة لنشر العقائد الحقّة والتعريف بالفكر الشيعي، بالبراهين العقليّة المتقنة والأدلّة النقلية من الكتاب والسنّة، من أجل ترسيخها في أذهان المؤمنين، ودفع الشبهات المثارة حولها من قبل المخالفين، فقد بادر (مركز الحقائق الاسلامية) بإخراج سلسلة علمية ـ عقائدية، متنوّعة، تميّزت بجامعيتها بين العمق في النظر والقوّة في الاستدلال والوضوح في البيان، تحت عنوان (إعرف الحق تعرف أهله)، وهي من بحوث سماحة الفقيه المحقق آية اللّٰه الحاج السيد علي الحسيني الميلاني (دام ظلّه)، آملين أن نكون قد قمنا ببعض الواجب الملقى على عواتقنا في هذه الأيام التي كثرت فيها الشبهات وازدادت الانحرافات، سائلين اللّٰه ﷻ أن يسدّد خطانا على نهج الكتاب والعترة الطاهرة كما أوصى الرسول الأكرم صلّى اللّٰه عليه وآله وسلّم، والحمد للّٰه رب العالمين.

مركز الحقائق الاسلامية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين، والصّلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين ولعنة اللّه على أعدائهم أجمعين.

وبعد

فهذه رسالة وضعتها في تفسير (آية المباهلة) وبيّنت دلالتها على الإمامة والولاية بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله على ضوء روايات أهل السنّة، وتعرّضت خلالها لكلمات كبار علمائهم الحفّاظ، راجياً من اللّه تعالى أن يجعلها نافعةً لأهلها وهو الموفّق المستعان.

علي الحسيني الميلاني

الفصل الأوّل
في نزول الآية في أهل البيت عليهم السلام

قال اللّه عزّوجلّ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللّهُ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾.

وقد خرج النبيُّ صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم إلىٰ المباهلة بعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام.

ذكر من رواه من الصحابة والتابعين:

وروي هذا الخبر عن جماعةٍ من أعلام الصحابة والتابعين، نذكر

هنا مَن جاءت الرواية عنه في كتب غير الإماميّة، فمنهم:

١ ـ أمير المؤمنين علي عليه السلام.

٢ ـ عبدالله بن العباس.

٣ ـ جابر بن عبدالله الأنصاري.

٤ ـ سعد بن أبي وقّاص.

٥ ـ عثمان بن عفان.

٦ ـ سعيد بن زيد.

٧ ـ طلحة بن عبيدالله.

٨ ـ الزبير بن العوام.

٩ ـ عبدالرحمن بن عوف.

١٠ ـ البراء بن عازب.

١١ ـ حذيفة بن اليمان.

١٢ ـ أبو سعيد الخدري.

١٣ ـ أبو الطفيل الليثي.

١٤ ـ جدّ سلمة بن عبديشوع.

١٥ ـ أُمّ سلمة زوجة رسول الله صلىٰ الله عليه وآله.

١٦ ـ زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام.

١٧ ـ علباء بن أحمر اليشكري.

١٨ ـ الشعبي.

١٩ ـ الحسن البصري.

٢٠ ـ مقاتل.

٢١ ـ الكلبي.

٢٢ ـ السدّي.

٢٣ ـ قتادة.

٢٤ ـ مجاهد.

أمّا أمير المؤمنين عليه السّلام، فقد ناشد القوم في الشورىٰ بنزول الآية فيه... وسيأتي الخبر قريباً.

وأمّا عثمان، وطلحة، والزبير، وسعيد بن زيد، وعبدالرحمن ابن عوف، وسعد بن أبي وقّاص، فقد أقرّوا لعليٍّ عليه السلام في ذلك.

كما روىٰ سعد الخبر، وكان ممّا به اعتذر عن سبّ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، كما في صحيح الأثر... وسيأتي نصّه.

وأمّا أبو الطفيل فهو راوي خبر المناشدة.

وأمّا الآخرون... فستأتي نصوص الأخبار في روايتهم.

ومن رواته من كبار الأئمة في الحديث والتفسير:

وقد اتّفقت كتب الحديث والتفسير والكلام علىٰ رواية حديث

المباهلة، إمّا بالأسانيد، وإمّا بإرساله إرسال المسلّمات، من أشهرهم:

١ ـ سعيد بن منصور، المتوفّىٰ سنة ٢٢٧.

٢ ـ أبو بكر عبدالله بن أبي شيبة، المتوفّىٰ سنة ٢٣٥.

٣ ـ أحمد بن حنبل، المتوفّىٰ سنة ٢٤١.

٤ ـ عبد بن حُميد، المتوفّىٰ سنة ٢٤٩.

٥ ـ مسلم بن الحجّاج، المتوفّىٰ سنة ٢٦١.

٦ ـ أبو زيد عمر بن شبّة البصري، المتوفّىٰ سنة ٢٦٢.

٧ ـ محمّد بن عيسىٰ الترمذي، المتوفّىٰ سنة ٢٧٩.

٨ ـ أحمد بن شعيب النسائي، المتوفّىٰ سنة ٣٠٣.

٩ ـ محمّد بن جرير الطبري، المتوفّىٰ سنة ٣١٠.

١٠ ـ أبو بكر ابن المنذر النيسابوري، المتوفّىٰ سنة ٣١٨.

١١ ـ أبو بكر الجصّاص، المتوفّىٰ سنة ٣٧٠.

١٢ ـ أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المتوفّىٰ سنة ٤٠٥.

١٣ ـ أبو بكر ابن مردويه الأصفهاني، المتوفّىٰ سنة ٤١٠.

١٤ ـ أبو إسحاق الثعلبي، المتوفّىٰ سنة ٤٢٧.

١٥ ـ أبو نعيم الأصفهاني، المتوفّىٰ سنة ٤٣٠.

١٦ ـ أبو بكر البيهقي، المتوفّىٰ سنة ٤٥٨.

١٧ ـ أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، المتوفّىٰ سنة ٤٦٨.

١٨ ـ محيي السُنّة البغوي، المتوفّىٰ سنة ٥١٦.

١٩ ـ جار الله الزمخشري، المتوفّىٰ سنة ٥٣٨.

٢٠ ـ القاضي عياض اليحصبي، المتوفّىٰ سنة ٥٣٨.

٢١ ـ أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي، المتوفّىٰ سنة ٥٧١.

٢٢ ـ أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي، المتوفّىٰ سنة ٥٧٩.

٢٣ ـ أبو السعادات ابن الأثير الجزري، المتوفّىٰ سنة ٦٠٦.

٢٤ ـ الفخر الرازي، المتوفّىٰ سنة ٦٠٦.

٢٥ ـ عزّ الدين ابن الأثير الجزري، المتوفّىٰ سنة ٦٣٠.

٢٦ ـ محمّد بن طلحة الشافعي، المتوفّىٰ سنة ٦٥٢.

٢٧ ـ شمس الدين سبط ابن الجوزي، المتوفّىٰ سنة ٦٥٤.

٢٨ ـ أبو عبدالله القرطبي الأنصاري، المتوفّىٰ سنة ٦٥٦.

٢٩ ـ القاضي البيضاوي، المتوفّىٰ سنة ٦٨٥.

٣٠ ـ محبّ الدين الطبري، المتوفّىٰ سنة ٦٩٤.

٣١ ـ نظام الدين الأعرج النيسابوري، المتوفّىٰ سنة

٣٢ ـ أبو البركات النسفي، المتوفّىٰ سنة ٧١٠.

٣٣ ـ صدر الدين إبراهيم الحموئي، المتوفّىٰ سنة ٧٢٢.

٣٤ ـ أبو القاسم ابن الجزّي الكلبي، المتوفّىٰ سنة ٧٤١.

٣٥ ـ علاء الدين الخازن، المتوفّىٰ سنة ٧٤١.

٣٦ ـ أبو حيّان الأندلسي، المتوفّىٰ سنة ٧٤٥.

٣٧ ـ شمس الدين الذهبي، المتوفّىٰ سنة ٧٤٨.

٣٨ ـ ابن كثير الدمشقي، المتوفّىٰ سنة ٧٧٤.

٣٩ ـ ولي الدين الخطيب التبريزي، المتوفّىٰ سنة

٤٠ ـ ابن حجر العسقلاني، المتوفّىٰ سنة ٨٥٢.

٤١ ـ نور الدين ابن الصبّاغ المالكي، المتوفّىٰ سنة ٨٥٥.

٤٢ ـ جلال الدين السيوطي، المتوفّىٰ سنة ٩١١.

٤٣ ـ أبو السعود العمادي، المتوفّىٰ سنة ٩٥١.

٤٤ ـ الخطيب الشربيني، المتوفّىٰ سنة ٩٦٨.

٤٥ ـ ابن حجر الهيتمي المكّي، المتوفّىٰ سنة ٩٧٣.

٤٦ ـ علي بن سلطان القاري، المتوفّىٰ سنة ١٠١٣.

٤٧ ـ نور الدين الحلبي، المتوفّىٰ سنة ١٠٣٣.

٤٨ ـ شهاب الدين الخفاجي، المتوفّىٰ سنة ١٠٦٩.

٤٩ ـ الزرقاني المالكي، المتوفّىٰ سنة ١١٢٢.

٥٠ ـ عبدالله الشبراوي، المتوفّىٰ سنة ١١٦٢.

٥١ ـ قاضي القضاة الشوكاني، المتوفّىٰ سنة ١٢٥٠.

٥٢ ـ شهاب الدين الآلوسي، المتوفّىٰ سنة ١٢٧٠.

وغيرهم من أعلام الحديث والتفسير والكلام والتاريخ في مختلف القرون.

من نصوص الحديث في الكتب المعتبرة:

وهذه ألفاظٌ من الأخبار الواردة في نزول الآية المباركة في عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، كما رواها الحفّاظ بأسانيدهم، في الكتب المعتبرة:

* **أخرج** ابن عساكر بسنده، وابن حجر من طريق الدارقطني، عن أبي الطفيل: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام ناشد أصحاب الشورى واحتجّ عليهم بجملةٍ من فضائله ومناقبه، ومن ذلك أن قال لهم:

«نشدتكم بالله، هل فيكم أحد أقرب إلىٰ رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم في الرحم، ومن جعله رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم نفسه وأبناه أبناءه ونساءه نساءه، غيري؟!

قالوا: اللّهمّ لا»[1].

أقول:

ومناشدة أمير المؤمنين في الشورىٰ رواها عدد كبير من علماء الفريقين، بأسانيدهم عن: أبي ذرّ وأبي الطفيل، وممّن أخرجها من حفّاظ الجمهور: الدارقطني، وابن مردويه، وابن عبدالبرّ، والحاكم، والسيوطي، وابن حجر المكّي، والمتّقي الهندي.

---

(١) تاريخ دمشق ـ ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام ـ ٣ / ٩٠ ح ١١٣١.

* وفي «**المسند**»: «حدّثنا عبدالله، قال أبي: ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا حاتم بن إسماعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد، عن أبيه، قال: سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم يقول له، وخلّفه في بعض مغازيه، فقال عليّ رضي الله عنه: أتخلّفني مع النساء والصبيان؟!

قال: يا علي! أما ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنّه لا نبوّة بعدي؟!

وسمعته يقول ـ يوم خيبر ـ: لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله.

فتطاولنا لها، فقال: ادعوا لي عليّاً رضي الله عنه فأُتي به أرمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه.

ولمّا نزلت هذه الآية ﴿**نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ**﴾ دعا رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً رضوان الله عليهم أجمعين، فقال: اللّهمّ هؤلاء أهلي»(١).

* **وأخرج** مسلم قائلاً: «حدّثنا قتيبة بن سعيد ومحمّد بن عبّاد ـ وتقاربا في اللفظ ـ قالا: حدّثنا حاتم ـ وهو ابن إسماعيل ـ عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص، عن أبيه، قال: أمر معاوية بن

(١) مسند أحمد بن حنبل ١ / ١٨٥.

أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسبَّ أبا تراب؟!

فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم:

سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم يقول له [وقد] خلّفه في بعض مغازيه، فقال له عليٌّ: يا رسول الله! خلّفتني مع النساء والصبيان!

فقال له رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم: أما ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنّه لا نبوّة بعدي.

وسمعته يقول يوم خيبر: لأُعطينّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله.

قال: فتطاولنا لها، فقال: ادعوا لي عليّاً، فأُتي به أرمد، فبصق في عينه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه.

ولمّا نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ﴾ دعا رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله]وسلّم عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللّهمّ هؤلاء أهلي»[1].

* **وأخرجه** الترمذي بالسند واللفظ، فقال:

---

(١) صحيح مسلم ٧/ ١٢٠.

«هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه»[١].

* **وأخرج** النسائي: «أخبرنا قتيبة بن سعيد البلخي وهشام بن عمّار الدمشقي، قالا: حدّثنا حاتم، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال: أمر معاوية سعداً فقال: ما يمنعك أن تسبَّ أبا تراب؟!

فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنَّ رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم فلن أسبّه، لأن يكون لي واحدة منها أحبّ إليَّ من حمر النعم:

سمعت رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم يقول له، وخلّفه في بعض مغازيه فقال له عليّ: يا رسول الله! أتخلّفني مع النساء والصبيان؟!

فقال رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم: أما ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنّه لا نبوّة بعدي.

وسمعته يقول يوم خيبر: لأُعطينَّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله.

فتطاولنا إليها فقال: ادعوا لي عليّاً، فأُتي به أرمد، فبصق في عينيه ودفع الراية إليه.

ولما نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ

---

(١) صحيح الترمذي ٥ / ٥٩٦ كتاب المناقب، مناقب عليّ.

﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ دعا رسول الله صلّىٰ الله عليه وسلّم عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي»[١].

* **وأخرج** الحاكم فقال: «أخبرني جعفر بن محمّد بن نصير الخلدي، ثنا موسىٰ بن هارون، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا حاتم بن إسماعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد، عن أبيه، قال: لمّا نزلت هذه الآية **﴿نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ﴾** دعا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً رضي الله عنهم فقال: اللّهمّ هؤلاء أهلي.

هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه»[٢].

*ووافقه الذهبي في (تلخيصه).

* وستأتي رواية الحاكم عن جابر.

* وأخرجه عن ابن عبّاس، قال: «ذِكر النوع السابع عشر من علوم الحديث: هذا النوع من هذا العلم معرفة أولاد الصحابة، فإنّ من جهل هذا النوع اشتبه عليه كثير من الروايات.

أوّل ما يلزم الحديثي معرفته من ذلك: أولاد سيّد البشر محمّد المصطفىٰ صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم ومن صحّت الرواية عنه منهم:

---

(١) خصائص أمير المؤمنين: ٤٨ ـ ٤٩.

(٢) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣/ ١٥٠.

حدّثنا عليّ بن عبدالرحمٰن بن عيسىٰ الدهقان بالكوفة، قال: حدّثنا الحسين بن الحكم الحبري، قال: ثنا الحسن بن الحسين العرني، قال: ثنا حبّان بن عليّ العنزي، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس في قوله عزّوجلّ: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ ـإلىٰ قوله: ـ الْكَاذِبِينَ﴾ نزلت علىٰ رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم، وعليّ نفسه، ﴿وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ﴾: فاطمة، ﴿وأَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ﴾: حسن وحسين، والدعاء علىٰ الكاذبين نزلت في العاقب والسيّد وعبدالمسيح وأصحابهم»[(١)].

* وقال ابن حجر العسقلاني بشرح حديث المنزلة: «ووقع في رواية عامر بن سعد بن أبي وقّاص عند مسلم والترمذي، قال: قال معاوية لسعدٍ: ما منعك أن تسبَّ أبا تراب؟!

قال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم فلن أسبّه....

فذكر هذا الحديث، وقوله: لأُعطينّ الراية رجلاً يحبّه اللّٰه ورسوله... وقوله: لمّا نزلت ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ﴾ دعا عليّاً وفاطمة والحسن والحسين فقال: اللّهمّ هؤلاء أهلي»[(٢)].

---

(١) معرفة علوم الحديث: ٤٩ ـ ٥٠.

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٧ / ٦٠.

تنبيه:

الملاحظ أنّهم يروون كلام سعد في جواب معاوية بأشكالٍ مختلفة، مع أنّ السند واحد، والقضيّة واحدة!!

بل يرويه المحدّث الواحد في الكتاب الواحد بأشكال، فاللفظ الذي ذكرناه عن النسائي هو أحد ألفاظه.

بينما رواه بلفظٍ آخر عن بكير بن مسمار، قال: سمعت عامر بن سعد يقول: قال معاوية لسعد بن أبي وقّاص: ما يمنعك أن تسبَّ ابن أبي طالب؟!

قال: لا أسبّه ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم، لأنْ يكون لي واحدة منهن أحبّ إليَّ من حمر النعم، لا أسبّه ما ذكرت حين نزل الوحي عليه، فأخذ عليّاً وابنيه وفاطمة، فأدخلهم تحت ثوبه ثمّ قال: ربّ هؤلاء أهل بيتي ـ أو: أهلي ـ...»[1].

ورواه بلفظ ثالث: إنّ معاوية ذكر عليّ بن أبي طالب رضي اللّٰه عنه، فقال سعد بن أبي وقّاص: واللّٰه لأنْ لي واحدة من خلالٍ ثلاث أحبّ إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.

لأن يكون قال لي ما قال له حين ردّه من تبوك: أما ترضىٰ أن تكون

---

(١) خصائص أمير المؤمنين: ٨١.

منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنّه لا نبيّ بعدي؛ أحبّ إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.

ولأن يكون قال لي ما قاله له يوم خيبر: لأُعطينّ الراية رجلاً يحب اللّٰه ورسوله، يفتح اللّٰه علىٰ يديه، ليس بفرّار؛ أحبّ إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.

ولأن يكون لي ابنته ولي منها من الولد ما له، أحبّ إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس»(١).

ورواه بلفظٍ رابع عن سعد، قال: «كنت جالساً فتنقّصوا علي بن أبي طالب رضي اللّٰه عنه، فقلت: لقد سمعت رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم يقول في عليٍّ خصالاً ثلاث، لأن يكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم.

سمعته يقول: إنّه منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنّه لا نبيّ بعدي.

وسمعته يقول: لأُعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ اللّٰه ورسوله ويحبّه اللّٰه ورسوله.

وسمعته يقول: مَن كنت مولاه فعليّ مولاه»(٢).

ورواه ابن ماجة بلفظٍ خامس فقال: «قدم معاوية في بعض حجّاته،

---

(١) خصائص أمير المؤمنين: ١١٦.

(٢) خصائص أمير المؤمنين: ٤٩ ـ ٥٠.

فدخل عليه سعد، فذكروا عليّاً، فنال منه، فغضب سعد وقال: تقول هذا الرجل سمعت رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم يقول: من كنت مولاه فعليّ مولاه.

وسمعته يقول: أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ، إلّا أنّه لا نبيّ بعدي.

وسمعته يقول: لأُعطينّ الراية اليوم رجلاً يحبّ اللّٰه ورسوله»[١].

أقول:

إنّه لو فرض حمل اختلاف ألفاظ الروايات في الخصال الثلاث علىٰ وجه صحيح، ولا يكون هناك تحريف، فلا ريب في تحريف القوم للّفظ في ناحيةٍ أُخرىٰ، وهي قضيّة سبّ أمير المؤمنين عليه السلام والنيل منه، خاصّةً مع السند الواحد! فإنّ أحمد ومسلماً والترمذي والنسائي وابن عساكر[٢] كلّهم اشتركوا في الرواية بسندٍ واحدٍ، فجاء عند غير أحمد: «أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟! فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً... سمعت...».

لكنّ أحمد حذف ذلك كلّه وبدأ الحديث من «سمعت...» وكأنّه لم تكن هناك أيّة مناسبة لكلام سعدٍ هذا!!

---

(١) سنن ابن ماجة ١ / ٤٥.

(٢) تاريخ دمشق ـ ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام ـ ١ / ٢٠٦ ح ٢٧١.

أمّا الحاكم، فيروي الخبر بنفس السند ويحذف المناسبة وخصلتين من الخصال الثلاث!!

والنسائي، يحذف المناسبة في لفظٍ، ويقول: «إنّ معاوية ذكر عليَّ بن أبي طالب، فقال سعد...»!!

وفي آخر يحذفها ويضع بدلها كلمة «كنت جالساً فتنقّصوا عليّ ابن أبي طالب...»!!

وابن ماجة، قال: «قدم معاوية في بعض حجّاته، فدخل عليه سعد، فذكروا عليّاً، فنال منه، فغضب سعد وقال...».

فجاء ابن كثير وحذف منه «فنال منه، فغضب سعد»[١].

وفي (الفضائل) لأحمد: «ذُكر علي عند رجلٍ وعنده سعد بن أبي وقاص، فقال له سعد: أتذكر عليّاً؟!»[٢].

وأبو نعيم وبعضهم، حذف القصّة من أصلها، فقال: «عن سعد ابن أبي وقاص، قال: قال رسول اللّٰه: في عليٍّ ثلاث خلال...»[٣].

هذا، والسبب في ذلك كلّه معلوم! إنهم يحاولون التغطية علىٰ مساوىء سادتهم ولو بالكذب والتزوير! ولقد أفصح عن ذلك بعضهم،

(١) تاريخ ابن كثير ٧ / ٣٤٠.

(٢) فضائل عليّ ـ لأحمد بن حنبل ـ: مخلوط.

(٣) تاريخ ابن كثير ٧ / ٣٤٠، حلية الأولياء ٤ / ٣٥٦.

كالنووي، حيث قال: «قال العلماء: الأحاديث الواردة التي في ظاهرها دخل علىٰ صحابي يجب تأويلها، قالوا: ولا يقع في روايات الثقات إلّا ما يمكن تأويله، فقول معاوية هذا ليس فيه تصريح بأنّه أمر سعداً بسبّه، وإنّما سأله عن السبب المانع له من السبّ، كأنه يقول: هل امتنعت تورّعاً أو خوفاً أو غير ذلك؟! فإن كان تورّعاً وإجلالاً له عن السبّ فأنت مصيب محسن، وإن كان غير ذلك فله جواب آخر.

ولعلّ سعداً قد كان في طائفةٍ يسبّون فلم يسبّ معهم، وعجز عن الإنكار، وأنكر عليهم فسأله هذا السؤال.

قالوا: ويحتمل تأويلاً آخر، أنّ معناه: ما منعك أن تُخَطئه في رأيه واجتهاده، وتظهر للناس حسن رأينا واجتهادنا وأنّه أخطأ؟». انتهىٰ[1].

ونقله المباركفوري بشرح الحديث[2].

أقول:

وهل ترتضي ـ أيّها القارئ ـ هذا الكلام في مثل هذا المقام؟!

أوّلاً: إن كان هناك مجالٌ لحمل كلام المتكلّم علىٰ الصحّة وتأويله علىٰ وجهٍ مقبول، فهذا لا يختصّ بكلام الصحابي دون غيره.

وثانياً: إذا كانت هذه قاعدة يجب اتّباعها بالنسبة إلىٰ أقوال

---

(١) المنهاج ـ شرح صحيح مسلم بن الحجّاج ـ ١٥ / ١٧٥.

(٢) تحفة الأحوذي ـ شرح جامع الترمذي ـ ١٠ / ١٥٦.

الصحابة، فلماذا لا يطبّقونها بالنسبة لكلّ الصحابة؟!

وثالثاً: إذا كانت هذه القاعدة للأحاديث الواردة التي في ظاهرها دخل علىٰ صحابي! فلماذا يطبّقونها في الأحاديث الواردة في فضل أمير المؤمنين عليه السلام، فلم يأخذوا بظواهرها، بل أعرضوا عن النصوص منها؟! ومنها حديث المباهلة، حيث لا تأويل فحسب، بل التعتيم والتحريف، كما سنرىٰ في الفصل الآتي.

ورابعاً: إن التأويل والحمل علىٰ الصحّة إنّما يكون حيث يمكن، وقولهم: «ليس فيه تصريح بأنّه أمر سعداً بسبّه، وإنّما سأله» كذبٌ، فقد تقدّم في بعض النصوص التصريح بـ«الأمر» و «النَيْلَ» و «التنقيص» وهذا كلّه مع تهذيب العبارة، كما لا يخفىٰ.

بل ذكر ابن تيميّة: أن معاوية أمر بسبّ علي[1].

بل جاءت الرواية عن مسلم والترمذي علىٰ واقعها، ففي رواية القندوزي الحنفي عنهما، قال: «وعن سهل بن سعد، عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً أن يسبّ أبا التراب، قال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً... أخرجه مسلم والترمذي»[2].

وخامساً: قولهم: «كأنّه يقول... فإن كان تورّعاً... فأنت مصيب

---

(١) منهاج السُنّة ٥ / ٤٥.

(٢) ينابيع المودّة: ١٩٣.

محسن» يكذّبه ما جاء التصريح به في بعض ألفاظ الخبر من أنّ سعداً خرج من مجلس معاوية غضبان وحلف ألّا يعود إليه!!

وعلىٰ كلّ حال... فهذا نموذج من تلاعبهم بمساوئ أسيادهم، لإخفائها، وسترىٰ -في الفصل اللّاحق- نموذج تلاعبهم بفضائل عليٍّ عليه السلام، لإخفائها، وهذا دين القوم وديدنهم، حشرهم اللّٰه مع الذين يدافعون عنهم ويودّونهم!!

* **وروىٰ** ابن شبّة، المتوفّىٰ سنة ٢٦٢، قال: «حدّثنا الحزامي، قال: حدّثنا ابن وهب، قال: أخبرني الليث بن سعد، عن من حدّثه، قال: جاء راهبا نجران إلىٰ النبي صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم يعرض عليهما الإسلام... قال: فدعاهما النبيّ إلىٰ المباهلة وأخذ بيد عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين رضي اللّٰه عنهم، فقال أحدهما للآخر: قد أنصفك الرجل.

فقالا: لا نباهلك.

وأقرّا بالجزية وكرِها الإسلام»[1].

* **وروىٰ** الحسين بن الحكم الحبري[2]، المتوفّىٰ سنة ٢٨٦، قال: «حدّثني إسماعيل بن أبان، قال: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم، عن أبي هارون، عن أبي سعيد الخدري، قال: لمّا نزلت هذه الآية ﴿**تَعَالَوْاْ**

---

(١) تاريخ المدينة المنوّرة، المجلد ١ / ٥٨٣.

(٢) وهو أيضاً في طريق الحاكم في «المستدرك».

﴿نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ﴾ قال: فخرج رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم بعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين»[1].

* **وأخرج** الطبري: «حدّثنا ابن حميد، قال: ثنا عيسىٰ بن فرقد، عن أبي الجارود، عن زيد بن عليّ، في قوله: ﴿تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ﴾ الآية، قال: كان النبيّ صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم وعليّ وفاطمة والحسن والحسين».

«حدّثنا محمّد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السُدّي، ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ الآية، فأخذ ـ يعني النبيّ صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم ـ بيد الحسن والحسين وفاطمة، وقال لعليٍّ: اتبعنا، فخرج معهم، فلم يخرج يومئذ النصارىٰ وقالوا: إنّا نخاف...».

«حدّثنا الحسن بن يحيىٰ، قال: أخبرنا عبدالرزّاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ﴾ قال: بلغنا أنّ نبيّ اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم خرج ليلاً عن أهل نجران، فلمّا رأوه خرج هابوا وفرقوا فرجعوا.

قال معمر: قال قتادة: لمّا أراد النبيّ صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم

(١) تفسير الحبري: ٢٤٨.

أهل نجران أخذ بيد حسن وحسين، وقال لفاطمة: اتبعينا، فلمّا رأىٰ ذلك أعداء الله رجعوا».

«حدّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا ابن زيد، قال: قيل لرسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم: لو لاعنت القوم، بمن كنت تأتي حين قلت ﴿أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ﴾؟

قال: حسن وحسين».

«حدّثني محمّد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا المنذر ابن ثعلبة، قال: ثنا علباء بن أحمر اليشكري، قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ﴾ الآية، أرسل رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم إلىٰ عليٍّ وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين...»[1].

* **وقال السيوطي:** «أخرج البيهقي في (الدلائل) من طريق سلمة ابن عبديشوع، عن أبيه، عن جدّه: إنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم كتب إلىٰ أهل نجران.. فلمّا أصبح رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم الغد بعدما أخبرهم الخبر، أقبل مشتملاً علىٰ الحسن والحسين في خميلةٍ له وفاطمة تمشي خلف ظهره، للملاعنة، وله يومئذٍ عدّة نسوة...».

---

(١) تفسير الطبري ٣/ ٢١٢ـ٢١٣.

«وأخرج الحاكم ـ وصحّحه ـ وابن مردويه، وأبو نعيم في (الدلائل) عن جابر، قال:... فغدا رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم وأخذ بيد عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين....

قال جابر: فيهم نزلت: ﴿تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ﴾ الآية.

قال جابر: ﴿وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ﴾: رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم وعليّ. ﴿وَأَبْنَاءنَا﴾: الحسن والحسين. ﴿وَنِسَاءنَا﴾: فاطمة».

«وأخرج أبو نعيم في (الدلائل) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس:... وقد كان رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم خرج ومعه عليّ والحسن والحسين وفاطمة، فقال رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم: إن أنا دعوت فأمِّنوا أنتم. فأبوا أن يلاعنوه وصالحوه علىٰ الجزية».

«وأخرج ابن أبي شيبة، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وأبو نعيم، عن الشعبي... فغدا النبيّ صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم ومعه الحسن والحسين وفاطمة...».

«وأخرج مسلم، والترمذي، وابن المنذر، والحاكم، والبيهقي في سننه، عن سعد بن أبي وقّاص، قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ﴾ دعا رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً، وقال: اللّهمّ هؤلاء أهلي»[1].

(١) الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور ٢ / ٣٨ ـ ٣٩.

* وقال الزمخشري: «وروي أنّهم لمّا دعاهم إلىٰ المباهلة قالوا: حتّىٰ نرجع وننظر، فلمّا تخالوا قالوا للعاقب ـ وكان ذا رأيهم ـ: يا عبدالمسيح! ما ترىٰ؟

فقال: والله لقد عرفتم ـ يا معشر النصارىٰ ـ أنّ محمّداً نبيّ مرسل، وقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبيّاً قطّ فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لنهلكنّ، فإن أبيتم إلّا إلف دينكم والإقامة علىٰ ما أنتم عليه، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلىٰ بلادكم.

فأتىٰ رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم وقد غدا محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعليّ خلفها، وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمّنوا.

فقال أُسقف نجران: يا معشر النصارىٰ! إنّي لأرىٰ وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض نصرانيّ إلىٰ يوم القيامة.

فقالوا: يا أبا القاسم! رأينا أن لا نباهلك، وأن نقرّك علىٰ دينك ونثبت علىٰ ديننا.

قال: فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم. فأبوا.

قال: فإنّي أُناجزكم.

قالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك علىٰ أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردّنا عن ديننا، علىٰ أن نؤدّي إليك كلّ عام ألفي حُلّة، ألف في صفر وألف في رجب، وثلاثين درعاً عاديّة من حديد.

فصالحهم علىٰ ذلك، وقال: والذي نفسي بيده، إنّ الهلاك قد تدلّىٰ علىٰ أهل نجران، ولو لاعنوا لمُسخوا قردةً وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل اللّٰه نجران وأهله حتىٰ الطير علىٰ رؤوس الشجر، ولما حال الحول علىٰ النصارىٰ كلّهم حتّىٰ يهلكوا.

وعن عائشة رضي اللّٰه عنها: إنّ رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم خرج وعليه مرط مرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله، ثمّ جاء الحسين فأدخله، ثمّ فاطمة، ثمّ عليّ، ثمّ قال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ**﴾.

فإن قلت: ما كان دعاؤه إلىٰ المباهلة إلّا لتبيين الكاذب منه ومن خصمه وذلك أمر يختصّ به وبمن يكاذبه، فما معنىٰ ضمّ الأبناء والنساء؟

قلت: ذلك آكد في الدلالة علىٰ ثقته بحاله واستيقانه بصدقه، حيث استجرأ علىٰ تعريض أعزّته وأفلاذ كبده وأحبّ الناس إليه لذلك، ولم يقتصر علىٰ تعريض نفسه له؛ وعلىٰ ثقته بكذب خصمه حتىٰ يهلك خصمه مع أحبته وأعزّته هلاك الاستئصال إن تمّت المباهلة.

وخص الأبناء والنساء لأنّهم أعزّ الأهل وألصقهم بالقلوب، وربّما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتّىٰ يقتل، ومن ثمّة كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب، ويسمّون الذادة عنها بأرواحهم حماة الظعائن.

وقدّمهم في الذكر علىٰ الأنفس لينبّه علىٰ لطف مكانهم وقرب منزلتهم، وليؤذن بأنّهم مقدّمون علىٰ الأنفس مفدون بها.

وفيه دليل لا شيء أقوىٰ منه علىٰ فضل أصحاب الكساء عليهم السلام.

وفيه برهان واضح علىٰ نبوّة النبي صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم، لأنّه لم يروِ أحد من موافق ولا مخالف أنّهم أجابوا إلىٰ ذلك»[(١)].

* **وروىٰ** ابن الأثير حديث سعد في الخصال الثلاثة، بإسناده عن الترمذي[(٢)].

وأرسله في تاريخه إرسال المسلَّم، قال: «وأمّا نصارىٰ نجران فإنّهم أرسلوا العاقب والسيّد في نفرٍ إلىٰ رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم، وأرادوا مباهلته، فخرج رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم ومعه عليّ وفاطمة والحسن والحسين، فلمّا رأوهم قالوا: هذه

---

(١) الكشّاف ١ / ٣٦٩ ـ ٣٧٠.

(٢) أُسد الغابة في معرفة الصحابة ٤ / ٢٦.

وجوه لو أقسمت علىٰ اللّٰه أن يزيل الجبال لأزالها، ولم يباهلوه، وصالحوه علىٰ ألفي حُلّة، ثمن كلّ حلة أربعون درهماً، وعلىٰ أن يضيفوا رسل رسول اللّٰه. وجعل لهم ذمّة اللّٰه تعالىٰ وعهده ألّا يفتنوا عن دينهم ولا يعشروا، وشرط عليهم أن لا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به»(١).

* **وروىٰ** الحاكم الحسكاني بإسناده: «عن أبي إسحاق السبيعي، عن صلة بن زفر، عن حذيفة بن اليمان، قال: جاء العاقب والسيّد ـ أُسقفا نجران ـ يدعوان النبي صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم إلىٰ الملاعنة، فقال العاقب للسيّد: إن لاعن بأصحابه فليس بنبيّ، وإن لاعن بأهل بيته فهو نبيّ.

فقام رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم فدعا عليّاً فأقامه عن يمينه، ثمّ دعا الحسن فأقامه علىٰ يساره، ثمّ دعا الحسين فأقامه عن يمين عليّ، ثمّ دعا فاطمة فأقامها خلفه.

فقال العاقب للسيّد: لا تلاعنه، إنّك إن لاعنته لا نفلح نحن ولا أعقابنا، فقال رسول اللّٰه: لو لاعنوني ما بقيت بنجران عين تطرف»(٢).

أقول:

وهذا نفس السند عند البخاري عن حذيفة، لكنّه حذف من الخبر ما يتعلّق بـ«أهل البيت» ووضع مكانه فضيلةً لـ«أبي عبيدة» وسيأتي في

---

(١) الكامل في التاريخ ٢ / ٢٩٣.

(٢) شواهد التنزيل ١ / ١٢٦.

الفصل اللّاحق، فانتظر!!

* **وقال** ابن كثير: «وقال أبو بكر ابن مردويه: حدّثنا سليمان بن أحمد، حدّثنا أحمد بن داود المكّي، حدّثنا بشر بن مهران، حدّثنا محمّد بن دينار، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن جابر، قال:... فغدا رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم فأخذ بيد عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين... قال جابر: وفيهم نزلت....

وهكذا رواه الحاكم في مستدركه... ثمّ قال: صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه هكذا!

قال: وقد رواه أبو داود الطيالسي، عن شعبة، عن المغيرة، عن الشعبي، مرسَلاً. وهذا أصحّ.

وقد روي عن ابن عبّاس والبراء نحو ذلك»(١).

ولكنّه ـ في (التاريخ) ـ ذكر أوّلاً حديث البخاري المبتور! ثمّ روىٰ القصّة عن البيهقي، عن الحاكم بإسناده عن سلمة بن عبديشوع، عن أبيه، عن جدّه؛ وليس فيه ذكر لعليٍّ عليه السلام، كما سيأتي.

* **وقال** القاري بشرح الحديث: «عن سعد بن أبي وقّاص، قال: لمّا نزلت هذه الآية ـ أي المسمّاة بآية المباهلة ـ **﴿نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ﴾** أوّلها **فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا**

(١) تفسير ابن كثير ١ / ٣١٩.

وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ﴾ دعا رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم عليّاً؛ فنزّله منزلة نفسه لِما بينهما من القرابة والأخوة، وفاطمة، أي لأنّها أخصّ النساء من أقاربه، وحسناً وحسيناً؛ فنزّلهما منزلة ابنيه صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم، فقال: اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي، أي: أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. رواه مسلم»[1].

كلمات حول السند:

ولنورد نصوص عبارات لبعض أئمّة القوم في قطعيّة هذا الخبر:

قال الحاكم: «وقد تواترت الأخبار في التفاسير، عن عبدالله بن عبّاس وغيره، أنّ رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم أخذ يوم المباهلة بيد عليٍّ وحسن وحسين، وجعلوا فاطمة وراءهم، ثمّ قال: هؤلاء أبناؤنا وأنفسنا ونساؤنا، فهلّموا أنفسكم وأبناءكم ونساءكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله علىٰ الكاذبين»[2].

وقال الجصّاص: «إنّ رواة السِيَر ونقلة الأثر لم يختلفوا في أنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم أخذ بيد الحسن والحسين وعليٍّ وفاطمة رضي الله عنهم، ودعا النصارىٰ الّذين حاجّوه إلىٰ المباهلة...»[3].

---

(١) المرقاة في شرح المشكاة ٥ / ٥٨٩.

(٢) معرفة علوم الحديث: ٥٠.

(٣) أحكام القرآن ٢ / ١٦.

وقال ابن العربي المالكي: «روىٰ المفسّرون أنّ النبيّ صلّىٰ اللّه عليه [وآله] وسلّم ناظر أهل نجران حتّىٰ ظهر عليهم بالدليل والحجّة، فأبوا الانقياد والإسلام، فأنزل اللّه هذه الآية، فدعا حينئذٍ عليّاً وفاطمة والحسن والحسين، ثمّ دعا النصارىٰ إلىٰ المباهلة»(١).

وقال ابن طلحة الشافعي: «أمّا آية المباهلة، فقد نقل الرواة الثقات والنقلة الأثبات نزولها في حقّ عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين»(٢).

واعترف القاضي الأيجي والشريف الجرجاني بدلالة الأخبار الصحيحة والروايات الثابتة عند أهل النقل علىٰ أنّه صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم دعا عليّاً وفاطمة وابنيهما فقط، وستأتي عبارتهما كاملةً في فصل الدلالة.

كتاب الصلح:

وجاء في غير واحدٍ من الكتب: أنّ عليّاً عليه السلام كتب لهم كتاباً بأمرٍ من النبي صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم(٣) وذكر ابن شبّة والبلاذري وغيرهما نصّ الكتاب، ويظهر منهم أنّ القوم كانوا يحتفظون به، قال

---

(١) أحكام القرآن ١ / ١١٥. ط السعادة بمصر، وفي الطبعة الموجودة عندي ١ / ٣٦٠ لا يوجد اسم عليّ، فليتحقّق.

(٢) مطالب السؤول: ٧.

(٣) ومن ذلك أيضاً: سنن البيهقي ١٠ / ١٢٠.

البلاذري: «وقال يحيىٰ بن آدم: وقد رأيت كتاباً في أيدي النجرانيّين كانت نسخته شبيهةً بهذه النسخة وفي أسفله: وكتب علي ابن أبي طالب»(١).

القربات يوم المباهلة:

وبما أنّ يوم المباهلة يوم أظهر اللّٰه فيه حقيّة نبوّة رسوله علىٰ النصارىٰ، وأبان فيه مقام علي وأهل البيت للعالمين، فهو من أعظم الأعياد الإسلامية، وأشرف أيام سرور المؤمنين، وكان من واجب كلّ فردٍ أن يقوم بشكر هذه النعمة بما أمكنه من مظاهر الشكر....

ومن هنا، فقد ذُكر هذا اليوم من مسار الشيعة، وهو اليوم الرابع والعشرين من ذي الحجة(٢).

ووردت فيه أعمال وقربات، من الغُسل، والصوم، والصلاة، والدعاء... كما لا يخفىٰ علىٰ من يراجع كتب هذا الشأن(٣).

---

(١) فتوح البلدان: ٧٦ ـ ٧٧.

(٢) مسار الشيعة ـ للشيخ للمفيد ـ: ٤١.

(٣) مصباح المتهجّد: ٧٥٨ ـ ٧٦٧، الإقبال بصالح الأعمال: ٥١٥.

الفصل الثاني

محاولات يائسة وأكاذيب مدهشة

ولمّا كانت قضيّة المباهلة، ونزول الآية المباركة في أهل البيت دون غيرهم، من أسمىٰ مناقب أمير المؤمنين عليه السلام الدالّة علىٰ إمامته بعد رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم، فقد حاول بعض المتكلّمين من مدرسة الخلفاء الإجابة عن ذلك، كما سنرىٰ بالتفصيل.

لكن هناك محاولاتٌ بالنسبة إلىٰ أصل الخبر ومتنه، الأمر الذي يدلّ علىٰ إذعان القوم بدلالة الحديث وبخوعهم بعدم الجدوىٰ فيما يحاولونه من المناقشة فيها...

وتلك المحاولات هي:

١ ـ الإخفاء والتعتيم علىٰ أصل الخبر:

فمن القوم من لا يذكر الخبر من أصله!! مع ما فيه من الأدلّة علىٰ

النبوّة وظهور الدين الإسلامي علىٰ سائر الأديان... أذكر منهم ابن هشام[١] وتبعه ابن سيّد الناس[٢] وهذه عبارة الثاني في ذكر الوفود، وهي ملخّص عبارة الأوّل:

«ثمّ بعث رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جُمادىٰ الأُولىٰ سنة عشر، إلىٰ بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلىٰ الإسلام قبل أن يقاتلهم، ثلاثاً، فإن استجابوا فاقبل منهم وإن لم يفعلوا فقاتلهم.

فخرج خالد حتّىٰ قدم عليهم، فبعث الركبان يضربون في كلّ وجه ويدعون إلىٰ الإسلام، ويقولون: أيّها الناس أسلموا تسلموا، فأسلم الناس ودخلوا في ما دعوا إليه، فأقام فيهم خالد يعلّمهم الإسلام، وكتب إلىٰ رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم بذلك.

فكتب له رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم أن يقبِلَ ويقبِل معه وفدهم، فأقبل وأقبل معه وفدهم، منهم قيس بن الحصين ذي الغصّة... وأمّر عليهم قيس بن الحصين.

فرجعوا إلىٰ قومهم في بقيّة من شوال أو في ذي القعدة، فلم

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٥٩٢.

(٢) عيون الأثر في المغازي والسير ٢ / ٢٤٤.

يمكثوا إلّا أربعة أشهر حتّىٰ توفّي رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه [وآله] وسلّم».

٢ ـ الإخفاء والتعتيم علىٰ حديث المباهلة:

وهذا ما حاوله آخرون، منهم:

* **البخاري** ـ تحت عنوان: قصة أهل نجران، من كتاب المغازي ـ:

«حدّثني عبّاس بن الحسين، حدّثنا يحيىٰ بن آدم، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن صلة بن زفر، عن حذيفة، قال: جاء العاقب والسيّد ـ صاحبا نجران ـ إلىٰ رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه [وآله] وسلّم، يريدان أن يلاعناه. قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فواللّه لئن كان نبيّاً فلاعنّا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا. قالا: إنّا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً ولا تبعث معنا إلّا أميناً، فقال: لأبعثنّ معكم رجلاً أميناً حق أمين.

فاستشرف له أصحاب رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه [وآله] وسلّم، فقال: قُم يا أبا عبيدة بن الجرّاح، فلمّا قام، قال رسول اللّه صلّىٰ اللّه عليه [وآله] وسلّم: هذا أمين هذه الأُمّة.

حدّثنا محمّد بن بشّار، حدّثنا محمّد بن جعفر، حدّثنا شعبة، قال: سمعت أبا إسحاق، عن صلة بن زفر، عن حذيفة رضي اللّه عنه قال: جاء أهل نجران إلىٰ النبي صلّىٰ اللّه عليه [وآله] وسلّم فقالوا: ابعث لنا رجلاً أميناً. فقال: لابعثنّ إليكم رجلاً أميناً حقَّ أمينٍ، فاستشرف له الناس،

فبعث أبا عبيدة بن الجرّاح»[1].

أقول:

قد تقدّم حديث حذيفة بن اليمان، رواه القاضي الحسكاني بنفس السند... لكنّ البخاري لم يذكر سبب الملاعنة! ولا نزول الآية المباركة! ولا خروج النبي صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم بعلي وفاطمة والحسنين عليهم السلام!

ولا يخفىٰ التحريف في روايته، وعبارته مشوّشة جدّاً، يقول: «جاء... يريدان أن يلاعناه فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل» فقد جاءا «يريدان أن يلاعناه» فلابدّ وأن حدَثَ شيء؟ «فقال أحدهما لصاحبه...» فما الذي حَدَث؟!!

لقد أشار الحافظ ابن حجر في شرحه إلىٰ نزول الآية وخروج النبيّ للملاعنة بأهل البيت عليهم السلام، لكنّها إشارة مقتضبة جدّاً!!

ثمّ قال: «قالا: إنّا نعطيك ما سألتنا» والنبيّ صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم لم يسأل شيئاً، وإنّما دعاهما إلىٰ الإسلام وما جاء به القرآن، فأبيا، فآذنهم بالحرب، فطلبا منه الصلح وإعطاء الجزية، فكتب لهما بذلك وكان الكاتب عليّاً عليه السلام.

ثمّ إن البخاري -بعد أن حذف حديث المباهلة وأراد إخفاء فضل

---

(١) صحيح البخاري ٥/ ٢١٧. ط دار إحياء التراث العربي -بيروت.

أهل الكساء ـ وضع فضيلةً لأبي عبيدة، بأنّهما قالا للنبيّ صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم: «ابعث معنا رجلاً أميناً» فبعث معهم أبا عبيدة بن الجرّاح...

لكن في غير واحدٍ من الكتب أنّ النبيّ صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم أرسل إليهم عليّاً عليه السلام، وهذا ما نبّه عليه الحافظ وأراد رفع التعارض، فقال: «وقد ذكر ابن إسحاق أنّ النبيّ بعث عليّاً إلىٰ أهل نجران ليأتيه بصدقاتهم وجزيتهم، وهذه القصّة غير قصّة أبي عبيدة، لأنّ أبا عبيدة توجّه معهم فقبض مال الصلح ورجع، وعلي أرسله النبيّ بعد ذلك يقبض منهم ما استحق عليهم من الجزية ويأخذ ممّن أسلم منهم ما وجب عليه من الصدقة. واللّٰه أعلم»[1].

قلت:

ولم أجد في روايات القصّة إلّا أنّهما «أقرّا بالجزية» والتزما بدفع ما تضمّنه الكتاب الذي كتبه صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم لهم، ومن ذلك: ألفا حُلّة «في كلّ رجبٍ ألف، وفي كلّ صفرٍ ألف» وهذه هي الجزية، وعليها جرىٰ أبو بكر وعمر، حتّىٰ جاء عثمان فوضع عنهم بعض ذلك! وكان ممّا كتب: «إنّي قد وضعت عنهم من جزيتهم مائتي حُلّة لوجه اللّٰه»![2].

ثمّ إنّ رجوعهما إلىٰ قومهما كان في بقيّة من شوال أو

---

(١) فتح الباري ـ شرح صحيح البخاري ـ ٨ / ٧٧.

(٢) فتوح البلدان: ٧٧.

ذي القعدة[١]. فأين رجب؟! وأين صفر؟!

فما ذكره الحافظ ـ رفعاً للتعارض ـ ساقط.

ولعلّه من هنا لم تأتِ هذه الجملة في رواية مسلم، فقد روىٰ الخبر عن أبي إسحاق، عن صلة بن زفر، عن حذيفة، قال: «جاء أهل نجران إلىٰ رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم فقالوا: يا رسول اللّٰه! ابعث إلينا رجلاً أميناً، فقال: لأبعثنّ إليكم أميناً...»[٢].

ثمّ إنّه قد تعدّدت أحاديث القوم في «أمانة أبي عبيدة» حتّىٰ أنّهم رووا بلفظ «أمين هذه الأُمّة أبو عبيدة»، وقد تكلّمنا علىٰ هذه الأحاديث من الناحيتين ـ السند والدلالة ـ في كتابنا الكبير بالتفصيل[٣].

* **ابن سعد**، فإنّه ذكر تحت عنوان «وفد نجران»: كتب رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم إلىٰ أهل نجران، فخرج إليه وفدهم، أربعة عشر رجلاً من أشرافهم نصارىٰ، فيهم العاقب وهو عبدالمسيح... .

ودعاهم إلىٰ الإسلام، فأبوا، وكثر الكلام والحجاج بينهم، وتلا عليهم القرآن، وقال رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم: إن أنكرتم ما أقول لكم فهلُمّ أُباهلكم، فانصرفوا علىٰ ذلك.

---

(١) عيون الأثر ٢ / ٢٤٤، وغيره.

(٢) صحيح مسلم ٧ / ١٣٩.

(٣) نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار ١١ / ٣١٥ ـ ٣٣٨.

فغدا عبدالمسيح ورجلان من ذوي رأيهم علىٰ رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم، فقال: قد بدا لنا أن لا نباهلك، فاحكم علينا بما أحببت نعطك ونصالحك، فصالحهم علىٰ....

وأَشهَدَ علىٰ ذلك شهوداً، منهم: أبو سفيان بن حرب، والأقرع ابن حابس، والمغيرة بن شعبة.

فرجعوا إلىٰ بلادهم، فلم يلبث السيد والعاقب إلّا يسيراً حتّىٰ رجعا إلىٰ النبيّ صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم، فأسلما، وأنزلهما دار أبي أيّوب الأنصاري.

وأقام أهل نجران علىٰ ما كتب لهم به النبيّ صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم حتّىٰ قبضه اللّٰه...»[1].

ثم قال في خروج الأمراء والعمّال علىٰ الصدقات: «وبعث عليّ بن أبي طالب إلىٰ نجران ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه بجزيتهم»[2].

* **وقال ابن الجوزي:** «وفي سنة عشر من الهجرة أيضاً قدم العاقب والسيّد من نجران، وكتب لهم رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم كتاب صلح»[3].

---

(١) الطبقات الكبرىٰ ١/ ٣٥٧ـ٣٥٨.

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ١٤٧.

(٣) المنتظم في تاريخ الأُمم ـ حوادث السنة العاشرة ـ ٤/ ٣.

* **وقال ابن خلدون:** «وفيها قدم وفد نجران النصارىٰ، في سبعين راكباً، يقدمهم أميرهم العاقب عبدالمسيح من كندة، وأُسقفهم أبو حارثة من بكر بن وائل والسيّد الأيهم، وجادلوا عن دينهم، فنزل صدر سورة آل عمران، وآية المباهلة، فأبوا منها، وفرقوا وسألوا الصلح، وكتب لهم به علىٰ ألف حُلّة في صفر وألف في رجب،

وعلىٰ دروع ورماح وخيل وخمل ثلاثين من كلّ صنف، وطلبوا أن يبعث معهم والياً يحكم بينهم، فبعث معهم أبا عبيدة بن الجرّاح، ثم جاء العاقب والسيّد وأسلما»[1].

٣ ـ الإخفاء والتعتيم علىٰ اسم عليّ!!

وحاول آخرون منهم أن يكتموا اسم عليٍّ عليه السلام:

* فحذفوا اسمه من الحديث، كما في الرواية عن جدّ سلمة بن عبديشوع المتقدّمة.

* بل تصرّف بعضهم في حديث مسلم وأسقط منه اسم «عليّ» كما سيأتي عن «البحر المحيط»!!

* والبلاذري عنون في كتابه «صلح نجران» وذكر القصّة، فقال: «فأنزل اللّه تعالىٰ: ﴿**ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ إِنَّ**

(١) تاريخ ابن خلدون ٤ / ٨٣٦ ـ ٨٣٧

مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ -إلىٰ قوله: **الْكَاذِبِينَ﴾** فقرأها رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم عليهما، ثم دعاهما إلىٰ المباهلة، وأخذ بيد فاطمة والحسن والحسين، فقال أحدهما لصاحبه: اصعد الجبل ولا تباهله، فإنّك إن باهلته بؤت باللعنة. قال: فما ترىٰ؟ قال: أرىٰ أن نعطيه الخراج ولا نباهله...»[(١)].

* وابن القيّم اقتصر علىٰ رواية جدّ سلمة، ولم يورد اللفظ الموجود عند مسلم وغيره، قال: «وروينا عن أبي عبداللّٰه الحاكم، عن الأصمّ، عن أحمد بن عبدالجبّار، عن يونس بن بكير، عن سلمة ابن عبديشوع، عن أبيه، عن جدّه، قال يونس -وكان نصرانياً فأسلم -: إنّ رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم كتب إلىٰ أهل نجران...» فحكىٰ القصّة إلىٰ أن قال:

«فلمّا أصبح رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم الغد بعدما أخبرهم الخبر، أقبل مشتملاً علىٰ الحسن والحسين رضي اللّٰه عنهما في خميل له وفاطمة رضي اللّٰه عنها تمشي عند ظهره للمباهلة، وله يومئذٍ عدّة نسوة...»[(٢)].

* وكذا فعل ابن كثير في تاريخه...[(٣)].

---

(١) فتوح البلدان: ٧٥ـ٧٦.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ٣ / ٣٩ ـ ٤٠.

(٣) البداية والنهاية ٥ / ٥٣.

* واختلف النقل عن الشعبي على أشكال:

أحدها: روايته عن جابر بن عبدالله، وفيها نزول الآية في عليٍّ وفاطمة والحسنين.

والثاني: روايته الخبر مع حذف اسم عليٍّ!! رواه عنه جماعة، وعنهم السيّوطي، وقد تقدّم.

وجاء عند الطبري بعد الخبر عن ابن حميد، عن جرير، عن مغيرة، عن الشعبي؛ وليس فيه ذكر عليٍّ: «حدّثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، قال: فقلت للمغيرة: إنّ الناس يروون في حديث أهل نجران أنّ عليّاً كان معهم!

فقال: أمّا الشعبي فلم يذكره، فلا أدري لسوء رأي بني أُميّة في عليّ، أو لم يكن في الحديث»[1].

والثالث: روايته الخبر مع حذف اسم عليٍّ! وإضافة «وناس من أصحابه»!! وهو ما نذكره:

٤ ـ حذف اسم عليّ وزيادة «وناس من أصحابه»:

وهذا الخبر لم أجده إلّا عند ابن شبّة، عن الشعبي، حيث قال:

«حدّثنا أبو الوليد أحمد بن عبدالرحمٰن القرشي، قال: حدّثنا

(١) تفسير الطبري ٣ / ٢١١.

الوليد بن مسلم، قال: حدّثنا إبراهيم بن محمّد الفزاري، عن عطاء بن السائب، عن الشعبي، قال: قدم وفد نجران، فقالوا لرسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم: أخبرنا عن عيسىٰ... قال: فأصبح رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم وغدا حسن وحسين وفاطمة وناس من أصحابه، وغدوا إلىٰ رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم فقالوا: ما للملاعنة جئناك، ولكن جئناك لتفرض علينا شيئاً نؤدّيه إليك...»[١].

فإذا كان المراد من «وغدا حسن...» أنهم خرجوا مع رسول اللّٰه ليباهل بهم، فقد أخرج صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم مع أهل بيته «ناساً من الصحابة»!!

وإذا كان قد خرج مع النبي «ناس من الصحابة» فلماذا لم يجعل الراوي عليّاً منهم في الأقل!!

لكنّ الشعبي -إن كانت هذه التحريفات منه لا من الرواة عنه- معروف بنزعته الأُموية، ولعلّ في أحد الروايات التي نقلناها سابقاً عن تفسير الطبري -إشارة إلىٰ ذلك... وقد كان الشعبي أمين آل مروان، وقاضي الكوفة في زمانهم، وكان نديماً لعبدالملك بن مروان مقرَّباً إليه، وكلّ ذلك وغيره مذكور بترجمته في الكتب فلتراجع.

---

(١) تاريخ المدينة المنوّرة ١ / ٥٨١ ـ ٥٨٢.

٥ ـ التحريف بزيادة «عائشة وحفصة»:

وهذا اللفظ وجدته عند الحلبي، قال: «وفي لفظٍ: أنّهم وادعوه على الغد، فلمّا أصبح صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم أقبل ومعه حسن وحسين وفاطمة وعليّ رضي اللّٰه عنهم وقال: اللّهم هؤلاء أهلي....

وعن عمر رضي اللّٰه عنه، أنّه قال للنبي صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم: لو لاعنتهم يا رسول اللّٰه بيد من كنت تأخذ؟ قال صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم: آخذ بيد عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين وعائشة وحفصة.

وهذا ـ أي زيادة عائشة وحفصة ـ دلّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ وصالحوه...»[1].

٦ ـ التحريف بحذف «فاطمة» وزيادة: «أبي بكر وولده وعمر وولده وعثمان وولده»:

وهذا لم أجده إلّا عند ابن عساكر، وبترجمة عثمان بالذات!! من تاريخه، قال:

«أخبرنا أبو عبداللّٰه محمّد بن إبراهيم، أنبأ أبو الفضل ابن الكريدي، أنبأ أبو الحسن العتيقي، أنا أبو الحسن الدار قطني، نا

(١) إنسان العيون ـ السيرة الحلبية ٣ / ٢٣٦.

أبو الحسين أحمد بن قاج، نا محمّد بن جرير الطبري ـ إملاءً علينا ـ نـا سعيد بن عنبسة الرازي، نا الهيثم بـن عـديّ، قـال: سـمعت جـعفر بـن محمّد، عن أبيه في هذه الآية ﴿**تَعَالَوْاْ نَـدْعُ أَبْـنَاءنَا وَأَبْـنَاءكُمْ وَنِسَـاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ**﴾. قال: فجاء بأبي بكر وولده، وبعمر وولده، وبعثمان وولده، وبعليٍّ وولده»[1].

ورواه عنه: السيوطي[2] والشوكاني[3] والآلوسي[4] والمراغي[5] ساكتين عنه!! نعم قال الآلوسي: «وهذا خلاف ما رواه الجمهور».

أقول:

كانت تلك محاولات القوم في قبال حديث المباهلة، وتلاعباتهم في لفظه... بغضّ النظر عن تعابير بعضهم عن الحديث بـ«قيل» و «روي» ونحو ذلك ممّا يقصد منه الاستهانة به عادةً.

هذا، والأليق بنا ترك التكلّم علىٰ هذه التحريفات ـ زيادةً ونقيصة ـ لوضوح كونها من أيدٍ أُمويّة، تـحاول كـتم المـناقب العـلويّة، لعـلمهم

---

(١) تاريخ دمشق ـ ترجمة عثمان بن عفّان ـ: ١٦٨ ـ ١٦٩.

(٢) الدرّ المنثور ٢ / ٤٠.

(٣) فتح القدير ١ / ٣٤٨.

(٤) روح المعاني ٣ / ١٩٠.

(٥) تفسير المراغي ٤/١٧٥.

بدلالتها علىٰ مزايا تقتضي الأفضليّة، كما حاولت في (حديث الغدير) و (حديث المنزلة) ونحوهما.

وفي (حديث المباهلة) أرادوا كتم هذه المزيّة، ولو بترك ذِكر أصل القضيّة! أو بحذف اسم عليٍّ أو فاطمة الزكيّة،....

ولولا دلالة الحديث علىٰ الأفضلية ـ كما سيأتي ـ لما زاد بعضهم «عائشة وحفصة» إلىٰ جنب فاطمة!!

بل أراد بعضهم إخراج الحديث عن الدلالة بانحصار هذه المزية في أهل البيت عليهم السلام، فوضع علىٰ لسان أحدهم ـ وهو الإمام الباقر، يرويه عنه الإمام الصادق ـ ما يدلّ علىٰ كون المشايخ الثلاثة في مرتبة عليٍّ، وأنّ وُلدهم في مرتبة وُلده!!

وضعوه علىٰ لسان الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام ليروج علىٰ البسطاء من الناس!!

وكم فعلوا من هذا القبيل علىٰ لسان أئمّة أهل البيت عليهم السلام وأولادهم، في الأبواب المختلفة من التفسير والفقه والفضائل[1]!

إنّ ما رواه ابن عساكر لم يخرّجه أحد من أرباب الصحاح والمسانيد والمعاجم، ولا يقاوم ـ بحسب قواعد القوم ـ ما أخرجه أحمد

(١) ذكرنا في بعض بحوثنا المنشورة نماذج من ذلك، ويا حبّذا لو تجمع وتُنشر في رسالة مفردة، والله الموفق.

ومسلم والترمذي وغيرهم، ونصّ الحاكم علىٰ تواتره، وغيره علىٰ ثبوته.

بل إنّ هذا الحديث لم يعبأ به حتىٰ مثل ابن تيميّة المتشبّث بكلّ حشيش!

إن هذا الحديث كذب محض، باطل سنداً ومتناً... ولنتكلّم علىٰ اثنين من رجاله:

١ ـ سعيد بن عنبسة الرازي:

ليس من رجال الصحاح والسنن ونحوها، وهو كذّاب، ذكره ابن أبي حاتم فقال: «سعيد بن عنبسة، أبو عثمان الخزّاز الرازي... سمع منه أبي ولم يحدّث عنه، وقال: فيه نظر.

حدّثنا عبدالرحمٰن، قال: سمعت عليّ بن الحسين، قال: سمعت يحيىٰ بن معين ـ وسئل عن سعيد بن عنبسة الرازي ـ فقال: لا أعرفه.

فقيل: إنّه حدّث عن أبي عبيدة الحدّاد حديث والان، فقال: هذا كذّاب.

حدّثنا عبدالرحمٰن، قال: سمعت عليّ بن الحسين يقول: سعيد بن عنبسة كذّاب.

٢ ـ الهيثم بن عدي:

وقد اتّفقوا علىٰ أنّه كذّاب.

قال ابن أبي حاتم: «سُئل يحيىٰ بن معين عن الهيثم بن عدّي، فقال: كوفيّ وليس بثقة، كذّاب.

سألت أبي عنه، فقال: متروك الحديث»(١).

وأورده ابن حجر الحافظ في (لسانه) فذكر الكلمات فيه:

البخاري: ليس بثقة، كان يكذب.

يحيىٰ بن معين: ليسس بثقة، كان يكذب.

أبو داود: كذّاب.

النسائي وغيره: متروك الحديث.

ابن المديني: لا أرضاه في شيء.

أبو زرعة: ليس بشيء.

العجلي: كذّاب.

الساجي: كان يكذب.

أحمد: صاحب أخبار وتدليس.

الحاكم والنقّاش: حدّث عن الثقات بأحاديث منكَرة.

---

(١) الجرح والتعديل ٩ / ٨٥

محمود بن غيلان: أسقطه أحمد ويحيىٰ وأبو خيثمة.

ذكره ابن السكن وابن شاهين وابن الجارود والدار قطني في الضعفاء.

كذّب الحديث ـ لكون الهيثم فيه ـ جماعة كالطحاوي في «مشكل الحديث» والبيهقي في «السنن» والنقّاش والجوزجاني في ما صنّفا من الموضوعات[١].

أقول:

هَب أنّ ابن عساكر روىٰ هذا الخبر الموضوع في كتابه «تاريخ دمشق» فإنّ هذا الكتاب فيه موضوعات كثيرة، كما نصّ عليه ابن تيميّة[٢] وغيره، فما بال السيوطي ومن تبعه يذكرونه بتفسير القرآن الكريم وبيان المراد من آيةٍ من كلام الله الحكيم؟!!

---

(١) لسان الميزان ٦ / ٢٠٩.

(٢) منهاج السنّة ٧ / ٤٠.

الفصل الثالث

في دلالة آية المباهلة علىٰ الإمامة

«اعلم أنّ يوم مباهلة النبيّ صلوات اللّٰه عليه وآله لنصارىٰ نجران كان يوماً عظيم الشأن، اشتمل علىٰ عدة آيات وكرامات.

فمن آياته: إنّه كان أول مقام فتَحَ اللّٰه جلّ جلاله فيه باب المباهلة الفاصلة في هذه الملّة الفاضلة عند جحود حججه وبيّناته.

ومن آياته: إنّه أول يوم ظهرت للّٰه جل جلاله ولرسوله صلوات اللّٰه عليه وآله العزّة بإلزام أهل الكتاب من النصارىٰ الذلّة والجزية، ودخولهم عند حكم نبوّته ومراداته.

ومن آياته: إنّه كان أوّل يوم أحاطت فيه سرادقات القوة الإلهية والقدرة النبويّة بمن كان يحتجّ عليه بالمعقول والمنقول والمنكرين لمعجزاته.

ومن آياته: إنّه أوّل يوم أشرقت شموسه بنور التصديق لمحمّد

صلوات اللّٰه عليه من جانب اللّٰه جلّ جلاله بالتفريق بين أعدائه وأهل ثقاته.

ومن آياته: إنّه يوم أظهر فيه رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه وآله تخصيص أهل بيته بعلوّ مقاماتهم.

ومن آياته: إنّه يوم كشف اللّٰه جلّ جلاله لعباده أنّ الحسن والحسين عليهما أفضل السلام، ـ مع ما كانا عليه من صغر السنّ ـ أحقّ بالمباهلة من صحابة رسول اللّٰه صلوات اللّٰه عليه والمجاهدين في رسالاته.

ومن آياته: إنّه يوم أظهر اللّٰه جلّ جلاله فيه أنّ ابنته المعظّمة فاطمة صلوات اللّٰه عليها أرجح في مقام المباهلة من أتباعه وذوي الصلاح من رجاله وأهل عناياته.

ومن آياته: إنّه يوم أظهر اللّٰه جلّ جلاله فيه أنّ مولانا علي بن أبي طالب نفس رسول اللّٰه صلوات اللّٰه عليهما، وإنّه من معدن ذاته وصفاته، وأنّ مراده من مراداته، وإن افترقت الصورة فالمعنىٰ واحد في الفضل من سائر جهاته.

ومن آياته: إنّه يوم وَسِمَ كلّ من تأخّر عن مقام المباهلة بوَسمٍ يقتضي أنّه دون من قدِّم عليه في الاحتجاج للّٰه عزّوجلّ ونشر علاماته.

ومن آياته: إنّه يوم لم يجرِ مثله قبل الإسلام في ما عرفنا من صحيح

النقل ورواياته.

ومن آياته: إنّه يوم أخرس ألسنة الدعوىٰ، وعرس في مجلس منطق الفتوىٰ، بأنّ أهل المباهلة أكرم علىٰ اللّٰه جلّ جلاله من كلّ مَن لم يصلح لِما صلحوا له من المتقربين بطاعاته وعباداته.

ومن آياته: إنّ يوم المباهلة يوم بيان برهان الصادقين، الّذين أمر اللّٰه جلّ جلاله باتّباعهم في مقدّس قرآنه وآياته.

ومن آياته: إنّ يوم المباهلة يوم شهد اللّٰه جلّ جلاله لكلّ واحد من أهل المباهلة بعصمته مدّة حياته.

ومن آياته: إنّ يوم المباهلة أقرب في تصديق صاحب النبوّة والرسالة من التحدّي بالقرآن، وأظهر في الدلالة، الّذين تحدّاهم صلوات اللّٰه عليه بالقرآن قالوا: **﴿لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾**[1]، وإن كان قولهم في مقام البهتان. ويوم المباهلة ما أقدموا علىٰ دعوىٰ الجحود للعجز عن مباهلته لظهور حجّته وعلاماته.

ومن آياته: إنّه يوم أطفأ اللّٰه به نار الحرب، وصان وجوه المسلمين من الجهاد والكرب، وخلّصهم من هيجان المخاطرة بالنفوس والرؤوس، وعتقها من رقّ الغزو والبؤس لشرف أهل المباهلة

(١) سورة الأنفال: ٨: ٣١.

الموصوفين فيها بصفاته.

ومن آياته: إنّ البيان واللّسان والجَنان اعترفوا بالعجز عن كمال كراماته»[١].

واستدلّ علماء الإماميّة بآية المباهلة، وأنّ النبيّ صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم دعا إليها الإمام عليّاً وفاطمة والحسن والحسين فقط... علىٰ إمامة أمير المؤمنين عليه السلام.

*** استدلال الإمام الرضا عليه السلام:**

وأمّا وجه دلالة الآية علىٰ الإمامة، فإنّ الإمامية أخذت ذلك من الإمام أبي الحسن عليّ الرضا عليه السلام، فقد قال الشريف المرتضىٰ الموسوي طاب ثراه:

«حدّثني الشيخ ـ أدام اللّٰه عزّه ـ أيضاً، قال: قال المأمون يوماً للرضا عليه السلام:

أخبرني بأكبر فضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام يدلّ عليها القرآن.

قال: فقال له الرضا عليه السلام: فضيلته في المباهلة، قال اللّٰه جلّ جلاله: **﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ**

---

(١) الإقبال بصالح الأعمال: ٥١٤.

أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

فدعا رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم الحسن والحسين فكانا ابنيه، ودعا فاطمة فكانت ـ في هذا الموضع ـ نساءه، ودعا أمير المؤمنين فكان نفسه بحكم اللّٰه عزّوجلّ.

وقد ثبت أنّه ليس أحد من خلق اللّٰه سبحانه أجلّ من رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم وأفضل، فوجب أن لا يكون أحد أفضل من نفس رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم بحكم اللّٰه عزّوجلّ.

قال: فقال له المأمون: أليس قد ذكر اللّٰه الأبناء بلفظ الجمع، وإنّما دعا رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم ابنيه خاصّة، وذكر النساء بلفظ الجمع، وإنّما دعا رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم ابنته وحدها. فلِمَ لا جاز أن يذكر الدعاء لمن هو نفسه ويكون المراد نفسه في الحقيقة دون غيره، فلا يكون لأمير المؤمنين عليه السلام ما ذكرت من الفضل؟!

قال: فقال له الرضا عليه السلام: ليس بصحيح ما ذكرت ـ يا أمير المؤمنين ـ وذلك أنّ الداعي إنّما يكون داعياً لغيره، كما يكون الآمر آمراً لغيره، ولا يصحّ أن يكون داعياً لنفسه في الحقيقة، كما لا يكون آمراً لها في الحقيقة، وإذا لم يدعُ رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم رجلاً في المباهلة إلّا أمير المؤمنين عليه السلام، فقد ثبت أنّه نفسه التي عناها

اللّٰه تعالىٰ في كتابه، وجعل حكمه ذلك في تنزيله.

قال: فقال المأمون: إذا ورد الجواب سقط السؤال»[١].

استدلال الشيخ المفيد

* وقال الشيخ المفيد ـ بعد أن ذكر القصّة ـ: «وفي قصّة أهل نجران بيانٌ عن فضل أمير المؤمنين عليه السلام، مع ما فيه من الآية للنبيّ صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم، والمعجز الدّال علىٰ نبوّته.

ألا ترىٰ إلىٰ اعتراف النصارىٰ له بالنبوّة، وقطعه عليه السلام علىٰ امتناعهم من المباهلة، وعلمهم بأنّهم لو باهلوه لحلّ بهم العذاب، وثقته عليه وآله السلام بالظفر بهم والفلج بالحجّة عليهم، وأنّ اللّٰه تعالىٰ حكم في آية المباهلة لأمير المؤمنين عليه السلام بأنّه نفس رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم، كاشفاً بذلك عن بلوغه نهاية الفضل، ومساواته للنبيّ عليه وآله السلام في الكمال والعصمة من الآثام، وأنّ اللّٰه جلّ ذكره جعله وزوجته وولديه ـ مع تقارب سنّهما ـ حجّةً لنبيّه عليه وآله السلام وبرهاناً علىٰ دينه، ونصّ علىٰ الحكم بأنّ الحسن والحسين أبناؤه، وأنّ فاطمة عليها السلام نساؤه المتوجّه إليهنّ الذِكر والخطاب في الدعاء إلىٰ المباهلة والاحتجاج؟!

---

(١) الفصول المختارة من العيون والمحاسن: ٣٨.

وهـذا فـضل لم يشـركهم فـيه أحـد مـن الأُمّـة، ولاقـاربهم فـيه ولا ماثلهم في معناه، وهو لاحق بما تقدّم من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام الخاصّة به، علىٰ ما ذكرناه»(١).

* وهكذا استدلّ الشريف المرتضىٰ، حيث قال: «لا شبهة في دلالة آية المباهلة علىٰ فضل مـن دُعـي إليـها وجـعل حـضوره حـجّة عـلىٰ المخالفين، واقتضائها تقدّمه علىٰ غيره؛ لأنّ النبيّ صلّىٰ اللّه عـليه وآله وسلّم لا يجوز أن يدعو إلىٰ ذلك المقام ليكون حجّةً فيه إلّا من هو في غاية الفضل وعلوّ المنزلة.

وقد تظاهرت الرواية بحديث المباهلة، وأنّ النبيّ صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم دعا إليها أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسـين عـليهم السلام، وأجمع أهل النقل وأهل التفسير علىٰ ذلك....

ونحن نـعلم أنّ قـوله **﴿وَأَنـفُسَنَا وأَنـفُسَكُمْ﴾** لا يـجوز أن يـعني بالمدعو فيه النبيّ صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم لأنّه هو الدّاعي، ولا يجوز أن يدعو الإنسان نفسه، وإنّما يصحّ أن يدعو غيره، كما لا يجوز أن يأمر نفسه وينهاها، وإذا كان قوله تعالىٰ: **﴿وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ﴾** لابُدّ أن يكون إشارةً إلىٰ غير الرسول صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم، وجب أن يكون إشارة

---

(١) الإرشاد في معرفة حجج اللّه علىٰ العباد ١ / ١٦٩.

إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام، لأنّه لا أحد يدّعي دخول غير أمير المؤمنين وغير زوجته وولديه عليهم السلام في المباهلة»[١].

استدلال الشيخ الطوسي

* وقال الشيخ الطوسي: «أحد ما يستدلّ به علىٰ فضله عليه السلام، قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ...﴾ إلىٰ آخر الآية.

ووجه الدلالة فيها: أنّه قد ثبت أنّ النبيّ صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم دعا أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام إلىٰ المباهلة، وأجمع أهل النقل والتفسير علىٰ ذلك، ولا يجوز أن يدعو إلىٰ ذلك المقام ليكون حجّةً إلّا من هو في غاية الفضل وعلوّ المنزلة، ونحن نعلم أنّ قوله: ﴿وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ﴾ لا يجوز أن يعني بالمدعوّ فيه النبيّ صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم؛ لأنّه هو الداعي، ولا يجوز أن يدعو الإنسان نفسه، وإنّما يصحّ أن يدعو غيره، كما لا يجوز أن يأمر نفسه وينهاها.

وإذا كان قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ﴾ لابُدّ أن يكون إشارةً إلىٰ غير الرسول، وجب أن يكون إشارةً إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأنّه لا أحد يدّعي دخول غير أمير المؤمنين وغير زوجته وولديه عليهم

(١) الشافي في الإمامة ٢ / ٢٥٤.

السلام في المباهلة...»[١].

وقال بتفسير الآية: «واستدل أصحابنا بهذه الآية علىٰ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان أفضل الصحابة من وجهين:

أحدهما: إنّ موضوع المباهلة ليتميّز المحقّ من المبطل، وذلك لا يصحّ أن يفعل إلّا بمن هو مأمون الباطن، مقطوعاً علىٰ صحّة عقيدته، أفضل الناس عند اللّٰه.

والثاني: إنّه صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم جعله مثل نفسه بقوله: ﴿**وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ...**﴾[٢].

استدلال الشيخ الإربلي

* وقال الإربلي: «ففي هذه القضية بيان لفضل عليٍّ عليه السلام، وظهور معجز النبيّ صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم، فإنّ النصارىٰ علموا أنّهم متىٰ باهلوه حلّ بهم العذاب، فقبلوا الصلح ودخلوا تحت الهدنة، وإنّ اللّٰه تعالىٰ أبان أن عليّاً هو نفس رسول اللّٰه كاشفاً بذلك عن بلوغه نهاية الفضل، ومساواته للنبيّ صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم في الكمال والعصمة من الآثام، وإن اللّٰه جعله وزوجته وولديه ـ مع تقارب سنّهما ـ حجّةً لنبيّه

---

(١) تلخيص الشافي ٣/٦ـ٧.

(٢) التبيان في تفسير القرآن ٢/ ٤٨٥.

صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم وبرهاناً علىٰ دينه، ونـصّ عـلىٰ الحكـم بأنّ الحسن والحسين أبناؤه، وأنّ فاطمة عليها السلام نساؤه المتوجّه إليهنّ الذِكر والخطاب في الدّعاء إلىٰ المـباهلة والاحـتجاج؛ وهـذا فـضل لم يشاركهم فيه أحد من الأُمّة ولاقاربهم»[1].

استدلال الشيخ البياضي

* وقال البياضي: «ولأنّه مساوٍ للنبيّ الذي هـو أفـضل، فـي قـوله ﴿وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ﴾ والمراد: المماثلة، لامتناع الاتّحاد»[2].

استدلال النصير الدين الطوسي

* وقـال المـحقّق نـصير الديـن الطـوسي ـفـي أنّ عـليّاً أفـضل الصحابة ـ: «ولقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنفُسَنَا﴾».

* فقال العلّامة الحلّي بشرحه: «هذا هو الوجه الثالث الدالّ علىٰ أنّـه عليه السلام أفضل من غيره، وهو قـوله تـعالىٰ: ﴿قُـلْ تَـعَالَوْاْ..﴾.. واتّـفق المفسّرون كـافّة أنّ الأبـناء إشـارة إلىٰ الحسـن والحسـين عـليهما السـلام والنساء إشارة إلىٰ فاطمة عليها السلام، والأنفس إشارة إلىٰ عليٍّ عليه السلام.

ولا يمكن أن يقال: إنّ نفسهما واحدة؛ فلم يبق المراد من ذلك إلّا

(١) كشف الغمّة في معرفة الأئمّة ١ / ٢٣٣.

(٢) الصراط المستقيم إلىٰ مستحقّي التقديم ١ / ٢١٠.

المساوي، ولا شكّ في أن رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم أفضل الناس، فمساويه كذلك أيضاً»[١].

استدلال العلامة الحلي

* وقال العلّامة الحلّي: «أجمع المفسّرون علىٰ أن ﴿أَبْنَاءنَا﴾ إشارة إلىٰ الحسن والحسين، و ﴿أَنفُسَنَا﴾ إشارة إلىٰ عليٍّ عليه السلام.

فجعله اللّٰه نفس محمّد صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم، والمراد المساواة، ومساوي الأكمل الأَولىٰ بالتصرّف أكمل وأَولىٰ بالتصرّف، وهذه الآية أدلّ دليلٍ علىٰ علوّ رتبة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأنّه تعالىٰ حكم بالمساواة لنفس رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم، وأنّه تعالىٰ عيّنه في استعانة النبيّ صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم في الدعاء. وأيّ فضيلةٍ أعظم من أن يأمر اللّٰه نبيّه بأن يستعين به علىٰ الدعاء إليه والتوسّل به؟! ولمن حصلت هذه المرتبة؟!»[٢].

أقول:

وعلىٰ هذا الغرار كلمات غيرهم من علمائنا الكبار في مختلف الأعصار... فإنّهم استدلّوا علىٰ إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بطائفتين

---

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٣٠٤.

(٢) نهج الحقّ وكشف الصدق: ١٧٧.

من الأدلّة، الأُولىٰ هي النصوص، والثانية هي الدالّة علىٰ الأفضليّة، والأفضليّة مستلزمة للإمامة، وهو المطلوب.

وخلاصة الاستدلال بالآية هو:

١ ـ إنّ الآية المباركة نصّ في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، لأنّها تدلّ علىٰ المساواة بين النبيّ وبينه عليه السلام، ومساوي الأكمل الأولىٰ بالتصرّف، أكمل وأولىٰ بالتصرّف.

٢ ـ إن قضية المباهلة وما كان من النبيّ صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم ـ قولاً وفعلاً ـ تدلّ علىٰ أفضليّة أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك لوجوه منها:

أولاً: إنّ هذه القضيّة تدلّ علىٰ أنّ علياً وفاطمة والحسنين عليهم السلام، أحبّ الناس إلىٰ رسول اللّٰه، والأحبيّة تستلزم الأفضلية.

قال البيضاوي: «أي يدع كلّ منّا ومنكم نفسه وأعزّة أهله وألصقهم بقلبه إلىٰ المباهلة...»[1].

فقال الشهاب الخفاجي في حاشيته: «ألصقهم بقلبه، أي: أحبّهم وأقربهم إليه».

وقال: «قوله: وإنّما قدّمهم...، يعني: أنّهم أعزّ من نفسه، ولذا

---

(١) تفسير البيضاوي بحاشية الشهاب ٣ / ٣٢.

يجعلها فداءً لهم، فلذا قدّم ذكرهم اهتماماً به. وأمّا فضل آل الله والرسول فالنهار لا يحتاج الىٰ دليل»[١].

وكذا قال الخطيب الشربيني[٢]، والشيخ سليمان الجمل[٣]، وغيرهما.

وقال القاري: «فنزّله بمنزلة نفسه لِما بينهما من القرابة والأخوّة»[٤].

وثانياً: دلالة فعل النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وسلم، إذ باهل خصومه بعلي وفاطمة وحسن وحسين فقط، ولم يدع واحدةً من أزواجه، ولا واحداً من بني هاشم، ولا امرأةً من أقربائه... فضلاً عن أصحابه وقومه... فإنّه يدلّ علىٰ عظمة الموقف، وجلالة شأن هؤلاء عند الله دون غيرهم، إذ لو كان لأحدهم في المسلمين مطلقاً نظير، لم يكن لتخصيصهم بذلك وجه.

وثالثاً: دلالة قوله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم لأهل البيت، لمّا أخرجهم للمباهلة: «إذا أنا دعوت فأمّنوا».

---

(١) حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي ٣ / ٣٢.

(٢) السراج المنير في تفسير القرآن ١ / ٢٢٢.

(٣) الجمل علىٰ الجلالين ١ / ٢٨٢.

(٤) المرقاة في شرح المشكاة ٥ / ٥٨٩.

فقال أسقُفهم: «إنّي لأرىٰ وجوهاً لو سألوا اللّٰه أن يزيل جبلاً من جباله لأزاله، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض نصراني إلىٰ يوم القيامة»[1].

فإنّ ذلك يدلّ علىٰ دخلٍ لهم في ثبوت نبوّته وصدق كلامه، وفي إذلال الخصوم وهلاكهم لو باهلوا...، فكان لهم الأثر الكبير والسهم الجزيل في نصرة الدين ورسول ربّ العالمين. ولا ريب أنّ من كان له هذا الشأن في مباهلة الأنبياء كان أفضل ممّن ليس له ذلك.

قال القاساني: «إنّ لمباهلة الأنبياء تأثيراً عظيماً سببه اتصال نفوسهم بروح القدس وتأييد اللّٰه إيّاهم به، وهو المؤثر بإذن اللّٰه في العالم العنصري، فيكون انفعال العالم العنصري منه كإنفعال بدننا من روحنا في الهيئات الواردة عليه، كالغضب، والحزن، والفكر في أحوال المعشوق، وغير ذلك من تحرّك الأعضاء عند حدوث الإرادات والعزائم، وانفعال النفوس البشريّة منه كانفعال حواسّنا وسائر قوانا من هيئات أرواحنا، فإذا اتّصل نَفس قُدسي به كان تأثيرها في العالم عند التوجّه الإتصالي تأثير ما يتّصل به، فتنفعل أجرام العناصر والنفوس الناقصة الإنسانية منه بما أراد.

(١) الكشّاف ١ / ٣٦٩، تفسير الخازن ١ / ٢٤٢، السراج المنير في تفسير القرآن ١ / ٢٢٢، المراغي ٣ / ١٧٥، وغيرهم ممّن تقدّم أو تأخّر.

ألم تَر كيف انفعلت نفوس النصارىٰ من نفسه عليه السلام بالخوف، وأحجمت عن المباهلة وطلبت الموادعة بقبول الجزية؟»[١].

أقول: فكان أهل البيت عليهم السلام شركاء مع رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم في هذا التأثير العظيم، وهذه مرتبة لم يبلغ عشر معشارها غيرهم من الأقرباء والأصحاب.

وعلىٰ الجملة، فإنّ المباهلة تدلّ علىٰ أفضليّة أمير المؤمنين عليه السلام بعد رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم، والأفضل هو المتعيّن للإمامة بالإتّفاق من المسلمين، كما اعترف به حتىٰ مثل ابن تيميّة[٢].

ونتيجة الإستدلال بالآية المباركة وما فعله النبي وقاله، هو أنّ اللّٰه عزّوجلّ أمر رسوله بأن يسمّي عليّاً نفسه كي يبيّن للناس أنّ عليّاً هو الذي يتلوه ويقوم مقامه في الإمامة الكبرىٰ والولاية العامّة؛ لأن غير الواجد لهذه المناصب لا يأمر اللّٰه رسوله بأن يسمّيه نفسه.

هذا، وفي الآية دلالة علىٰ أنّ «الحسنين» ابنا رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم، وهذا ما نصّ عليه غير واحدٍ من أكابر القوم.

وقد جاء في الكتب أنّ عليّاً عليه السلام كان الكاتب لكتاب

---

(١) تفسير القاسمي ٢ / ٨٥٧.

(٢) نصّ عليه في مواضع من منهاجه، انظر مثلاً: ٦ / ٤٧٥ و ٨ / ٢٢٨.

الصلح[١] وأنّه توجّه بعد ذلك إلىٰ نجران بأمر النبي لجمع الصّدقات ممن أسلم منهم وأخذ الجزية ممّن بقي منهم علىٰ دينه[٢].

ثمّ إنّ أصحابنا يعضّدون دلالة الآية الكريمة علىٰ المساواة بعدّةٍ من الروايات:

كقوله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم لبريدة بن الحصيب عندما شكا عليّاً عليه السلام: «يا بريدة! لا تبغض عليّاً فإنّه منّي وأنا منه» ولعموم المسلمين في تلك القصّة: «عليّ منّي وأنا من عليّ، وهو وليّكم من بعدي»[٣].

وقوله، وقد سئل عن بعض أصحابه، فقيل: فعليّ؟! قال: «إنّما سألتني عن الناس ولم تسألني عن نفسي»[٤].

وقوله: «خُلِقت أنا وعليّ من نورٍ واحد».

وقوله: «خُلِقت أنا وعليٌّ من شجرةٍ واحدة»[٥].

وقوله ـ في جواب قول جبرئيل في أحد: يا محمّد! إنّ هذه لهي

---

(١) سنن البيهقي ١٠ / ١٢٠، وغيره.

(٢) شرح المواهب اللدنّية ٤ / ٤٣.

(٣) هذا حديث الولاية، وقد بحثنا عنه بالتفصيل سنداً ودلالةً في الجزء الخامس عشر من كتابنا الكبير «نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار».

(٤) كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب: ١٥٥.

(٥) حديث النور، وحديث الشجرة، بحثنا عنهما بالتفصيل سنداً ودلالةً في الجزء الخامس من كتابنا الكبير «نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار».

المواساة ـ: «يا جبرئيل، إنّه منّي وأنا منه. فقال جبرئيل: وأنا منكما»(١).

أقول: وستأتي أحاديث أُخر فيما بعد، إن شاء الله.

وممّا يُستَدل به أيضاً: قوله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم: «فاطمة بضعة منّي...» حيث استدلَّ به غير واحدٍ من أئمّة القوم بأفضليّة فاطمة علىٰ أبي بكر وعمر، لكونها بضعةً من النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم، وهو أفضل منهما بالإجماع(٢)، فإنّ عليّاً عليه السلام أفضل منها بالإجماع كذلك.

ثم إنّ غير واحدٍ من أعلام أهل السُنّة اعترف بدلالة القصّة علىٰ فضيلةٍ فائقةٍ لأهل البيت عليهم السلام:

قال الزمخشري: «وفيه دليل لا شيء أقوىٰ منه علىٰ فضل أصحاب الكساء عليهم السلام»(٣).

وقال ابن روزبهان: «لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام في هذه الآية فضيلة عظيمة وهي مسلَّمة، ولكن لا تصير دالةً علىٰ النصّ بإمامته»(٤).

---

(١) مسند أحمد ٤ / ٤٣٧، المستدرك على الصحيحين ٣ / ١١، تاريخ الطبري ٣ / ١٧، الكامل في التاريخ ٢ / ٦٣ ومصادر أُخرىٰ في التاريخ والحديث.

(٢) فتح الباري ٧ / ١٣٢، فيض القدير ٤ / ٤٢١، المرقاة في شرح المشكاة ٥ / ٣٤٨.

(٣) الكشّاف ١ / ٣٧٠.

(٤) إبطال الباطل ـ مع إحقاق الحق ـ ٣ / ٦٣.

أقول: فلا أقلّ من الدلالة على الأفضليّة؛ لأنّ هذه الفضيلة غير حاصلة لغيره، فهو أفضل الصحابة، والأفضليّة تستلزم الإمامة.

ومن هنا نرى الفخر الرازي لا يقدح في دلالة الآية على أفضليّة عليٍّ على سائر الصحابة، وإنّما يناقش الشيخ الحمصي في استدلاله بها على أفضليته على سائر الأنبياء، وسيأتي كلامه.

وتبعه النيسابوري وهذه عبارته: «أي: يَدعُ كلّ منّا ومنكم أبناءه ونساءه ويأت هو بنفسه وبمن هو كنفسه إلى المباهلة، وإنّما يعلم إتيانه بنفسه من قرينة ذكر النفس ومن إحضار من هم أعزّ من النفس، ويعلم إتيان من هو بمنزلة النفس من قرينة أن الإنسان لا يدعو نفسه. ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾: ثمّ نتباهل....

وفي الآية دلالة على أنّ الحسن والحسين ـ وهما ابنا البنت ـ يصحّ أن يقال: إنّهما ابنا رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، لأنّه صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وعد أن يدعو أبناءه ثمّ جاء بهما.

وقد تمسّك الشيعة قديماً وحديثاً بها في أنّ عليّاً أفضل من سائر الصحابة؛ لأنّها دلّت على أنّ نفس عليّ مثل نفس محمّد إلّا في ما خصّه الدليل.

وكان في الريّ رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي ـ وكان متكلّم الاثني عشرية ـ يزعم أنّ عليّاً أفضل من سائر الأنبياء سوى

محمّد. قال: وذلك أنّه ليس المراد بقوله: ﴿أَنفُسَنَا﴾ نفس محمّد، لأنّ الإنسان لا يدعو نفسه، فالمراد غيره، وأجمعوا علىٰ أنّ الغير كان عليّ ابن أبي طالب....

وأُجيب: بأنّه كما انعقد الإجماع بين المسلمين علىٰ أنّ محمّداً أفضل من سائر الأنبياء فكذا انعقد الإجماع بينهم ـ قبل ظهور هذا الإنسان ـ علىٰ أنّ النبيّ أفضل ممّن ليس بنبي، وأجمعوا علىٰ أنّ عليّاً عليه السلام ما كان نبيّاً....

وأمّا فضل أصحاب الكساء، فلا شكّ في دلالة الآية علىٰ ذلك، ولهذا ضمّهم إلىٰ نفسه، بل قدّمهم في الذكر...»[1].

(١) تفسير النيسابوري ـ هامش الطبري ٣ / ٢١٤ ـ ٢١٥.

الفصل الرابع
في دفع شبهات المخالفين

وتلخّص الكلام في الفصل السابق في أنّ الآية المباركة دالة علىٰ إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، إن لم يكن بالنصّ فبالدلالة علىٰ العصمة وعلىٰ الأفضليّة للأحبية والأقربية وغيرهما من الوجوه... ولم يكن هناك أيّ مجالٍ للطعن في سند الحديث أو التلاعب بمتنه....

فلننظر في كلمات المخالفين في مرحلة الدلالة:

* **أمّا إمام المعتزلة**، فقد قال:

«دليل آخر لهم: وربّما تعلّقوا بآية المباهلة وأنّها لما نزلت جمع النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأنّ ذلك يدلّ علىٰ أنّه الأفضل، وذلك يقتضي أنّه بالإمامة أحقّ، ولابدّ من أن يكون هو المراد بقوله: ﴿**وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ**﴾ الآية. لأنّه عليه السلام لا يدخل تحت قوله تعالىٰ: ﴿**نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا**

﴿وَنِسَاءكُمْ﴾ فيجب أن يكون داخلاً تحت قوله: ﴿وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ﴾، ولا يجوز أن يجعله من نفسه إلّا وهو يتلوه في الفضل.

وهذا مثل الأوّل في أنّه كلام في التفضيل، ونحن نبيّن أنّ الإمامة قد تكون في من ليس بأفضل.

وفي شيوخنا من ذكر عن أصحاب الآثار أنّ عليّاً عليه السلام لم يكن في المباهلة.

قال شيخنا أبو هاشم: إنّما خصّص صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم من تقرّب منه في النسب ولم يقصد الإبانة عن الفضل، ودلّ علىٰ ذلك بأنّه عليه السلام أدخل فيها الحسن والحسين عليهما السلام مع صغرهما لِما اختصّا به من قرب النسب. وقوله: ﴿وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ﴾ يدلّ علىٰ هذا المعنىٰ، لأنّه أراد قرب القرابة، كما يقال في الرجل يقرب في النسب من القوم: أنّه من أنفسهم.

ولا ينكر أن يدلّ ذلك علىٰ لطف محلّه من رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم وشدّة محبّته له وفضله، وإنّما أنكرنا أن يدلّ ذلك علىٰ أنّه الأفضل أو علىٰ الإمامة...»[1].

---

(١) المغني في الإمامة: ٢٠ القسم ١ / ١٤٢.

أقول:

ويتلّخص هذا الكلام في أُمور:

الأوّل: إنّ الإمامة قد تكون في من ليس بأفضل.

وهذا ـ في الواقع ـ تسليم باستدلال الإمامية بالآية علىٰ أفضليّة أمير المؤمنين عليه السلام، وكون الإمامة في من ليس بأفضل لم يرتضه حتّىٰ مثل ابن تيميّة!

والثاني: إنّ عليّاً لم يكن في المباهلة.

وهذا أيضاً دليل علىٰ تماميّة استدلال الإماميّة، وإلّا لم يلتجؤا إلىٰ هذه الدعوىٰ، كما التجأ بعضهم ـ كالفخر الرازي ـ في الجواب عن حديث الغدير، بأنّ عليّاً لم يكن في حجّة الوداع!

والثالث: إنّه لم يكن القصدُ إلىٰ الإبانة عن الفضل، بل أراد قرب القرابة.

وهذا باطلّ، لأنّه لو أراد ذلك فقط، لأخرج غيرهم من أقربائه كالعبّاس، وهذا ما تنبّه إليه ابن تيميّة فأجاب بأنّ العبّاس لم يكن من السابقين الأوّلين، فاعترف ـ من حيث يدري أو لا يدري ـ بالحقّ.

هذا، ولا يخفىٰ أنّ معتمد الأشاعرة في المناقشة هو هذا الوجه الأخير، وبهذا يظهر أنّ القوم عيال علىٰ المعتزلة، وكم له من نظير!!

*** وقال ابن تيميّة**[1]:

«أمّا أخذه عليّاً وفاطمة والحسن والحسين في المباهلة، فحديث صحيح، رواه مسلم عن سعد بن أبي وقّاص. قال في حديث طويل: «لمّا نزلت هذه الآية: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ**﴾ دعا رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: اللّهمّ هؤلاء أهلي».

ولكن لا دلالة في ذلك علىٰ الإمامة ولا علىٰ الأفضليّة.

وقوله:: (قد جعل الله نفس رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم، والاتّحاد محال، فبقي المساواة له، وله الولاية العامّة، فكذا لمساويه).

قلنا: لا نسلّم أنّه لم يبق إلّا المساواة، ولا دليل علىٰ ذلك، بل حمله علىٰ ذلك ممتنع؛ لأنّ أحداً لا يساوي رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم، لا عليّاً ولا غيره.

وهذا اللفظ في لغة العرب لا يقتضي المساواة، قال تعالىٰ في قصّة الإفك: ﴿**لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً**﴾ وقد قال في قصّة بني إسرائيل: ﴿**فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ**﴾ أي: يقتل بعضكم بعضاً، ولم يوجب ذلك أن يكونوا

---

(١) أوردنا كلامه بطوله، ليظهر أنّ غيره تبع له ولئلّا يظنّ ظان أنا تركنا منه شيئاً له تأثير في البحث!

متساوين، ولا أن يكون مَن عبدالعجل مساوياً لمن لم يعبده.

وكذلك قد قيل في قوله: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا يقتل بعضكم بعضاً، وإن كانوا غير متساوين.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ أي: لا يلمز بعضكم بعضاً فيطعن عليه ويعيبه، وهذا نهي لجميع المؤمنين أن لا يفعل بعضهم ببعضٍ هذا الطعن، مع أنّهم غير متساوين لا في الأحكام ولا في الفضيلة، ولا الظالم كالمظلوم، ولا الإمام كالمأموم.

ومن هذا الباب قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: يقتل بعضكم بعضاً.

وإذا كان اللفظ في قوله: ﴿وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ﴾ كاللفظ في قوله: ﴿وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾.. ﴿لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً﴾ ونحو ذلك، مع أنّ التساوي هنا ليس بواجب، بل ممتنع، فكذلك هناك وأشدّ.

بل هذا اللفظ يدلّ علىٰ المجانسة والمشابهة، والتجانس والمشابهة يكون بالاشتراك في بعض الأُمور، كالاشتراك في الإيمان، فالمؤمنون إخوة في الإيمان، وهو المراد بقوله: ﴿لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً﴾ وقوله: ﴿وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾.

وقد يكون بالاشتراك في الدين، وإن كان فيهم المنافق، كاشتراك

المسلمين في الإسلام الظاهر، وإن كان مع ذلك الإشتراك في النسب فهو أوكد، وقوم موسىٰ كانوا ﴿أَنفُسَنَا﴾ بهذا الاعتبار.

قوله تعالىٰ: ﴿تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ﴾ أي: رجالنا ورجالكم، أي: الرجال الّذين هم من جنسنا في الدين والنسب، والرجال الّذين هم من جنسكم، والمراد التجانس في القرابة فقط؛ لأنّه قال: ﴿أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ﴾ فذكر الأولاد وذكر النساء والرجال، فعُلم أنّه أراد الأقربين إلينا من الذكور والإناث من الأولاد والعصبة؛ ولهذا دعا الحسن والحسين من الأبناء، ودعا فاطمة من النساء، ودعا عليّاً من رجاله، ولم يكن عنده أحد أقرب إليه نسباً من هؤلاء، وهم الّذين أدار عليهم الكساء.

والمباهلة إنّما تحصل بالأقربين إليه، وإلّا فلو باهل بالأبعدين في النسب وإن كانوا أفضل عند الله لم يحصل المقصود، فإنّ المراد أنّهم يدعون الأقربين كما يدعو هو الأقرب إليه.

والنفوس تحنو علىٰ أقاربها ما لا تحنو علىٰ غيرهم، وكانوا يعلمون أنه رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم، ويعلمون أنّهم إن باهلوه نزلت البهلة عليهم وعلىٰ أقاربهم، واجتمع خوفهم علىٰ أنفسهم وعلىٰ أقاربهم، فكان ذلك أبلغ في امتناعهم وإلّا فالإنسان قد يختار أن يهلك ويحيا ابنه، والشيخ الكبير قد يختار الموت إذا بقي أقاربه في نعمةٍ

ومال، وهذا موجود كثير، فطلب منهم المباهلة بالأبناء والنساء والرجال والأقربين من الجانبين، فلهذا دعا هؤلاء.

وآية المباهلة نزلت سنة عشر، لمّا قدم وفد نجران، ولم يكن النبيّ صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم قد بقي من أعمامه إلّا العبّاس، والعبّاس لم يكن من السابقين الأوّلين، ولا كان له به اختصاص كعليٍّ.

وأمّا بنو عمّه، فلم يكن فيهم مثل عليٍّ، وكان جعفر قد قُتل قبل ذلك، فإنّ المباهلة كانت لمّا قدم وفد نجران سنة تسع أو عشر، وجعفر قُتل بمؤتة سنة ثمان، فتعيّن عليّ رضي اللّٰه عنه.

وكونه تعيّن للمباهلة إذ ليس في الأقارب من يقوم مقامه، لا يوجب أن يكون مساوياً للنبيّ صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم في شيء من الأشياء، بل ولا أن يكون أفضل من سائر الصحابة مطلقاً، بل له بالمباهلة نوع فضيلة، وهي مشتركة بينه وبين فاطمة وحسن وحسين، ليست من خصائص الإمامة، فإنّ خصائص الإمامة لا تثبت للنساء، ولا يقتضي أن يكون من باهل به أفضل من جميع الصحابة، كما لم يوجب أن تكون فاطمة وحسن وحسين أفضل من جميع الصحابة.

وأما قول الرافضيّ: لو كان غير هؤلاء مساوياً لهم أو أفضل منهم في استجابة الدعاء، لأمره تعالىٰ بأخذهم معه؛ لأنّه في موضع الحاجة.

فيقال في الجواب: لم يكن المقصود إجابة الدعاء، فإنّ دعاء النبيّ

صلّىٰ اللّه عليه [وآله] وسلّم وحده كافٍ، ولو كان المراد بمن يدعوه معه أن يستجاب دعاؤه لدعا المؤمنين كلّهم ودعا بهم، كما كان يستسقي بهم وكما كان يستفتح بصعاليك المهاجرين، وكان يقول: وهل تُنصرون أو تُرزقون إلّا بضعفائكم؟! بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم!

ومن المعلوم أنّ هؤلاء وإن كانوا مجابين، فكثرة الدعاء أبلغ في الإجابة، لكن لم يكن المقصود دعوة من دعاه لإجابة دعائه، بل لأجل المقابلة بين الأهل والأهل!

ونحن نعلم بالاضطرار أنّ النبيّ صلّىٰ اللّه عليه [وآله] وسلّم لو دعا أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وغيرهم للمباهلة، لكانوا أعظم الناس استجابةً لأمره، وكان دعاء هؤلاء وغيرهم أبلغ في إجابة الدعاء، لكن لم يأمره اللّه سبحانه بأخذهم معه، لأنّ ذلك لا يحصل به المقصود.

فإنّ المقصود أن أُولئك يأتون بمن يشفقون عليه طبعاً، كأبنائهم ونسائهم ورجالهم الّذين هم أقرب الناس إليهم، فلو دعا النبيّ صلّىٰ اللّه عليه [وآله] وسلّم قوماً أجانب لأتىٰ أولئك بأجانب، ولم يكن يشتدّ عليه نزول البهلة بأولئك الأجانب، كما يشتدّ عليهم نزولها بالأقربين إليهم، فإن طبع البشر يخاف علىٰ أقربيه ما لا يخاف علىٰ الأجانب، فأمر النبيّ صلّىٰ اللّه عليه [وآله] وسلّم أن يدعو قرابته وأن يدعو أولئك قرابتهم.

والناس عند المقابلة تقول كلّ طائفة للأُخرىٰ: ارهنوا عندنا أبناءكم ونساءكم، فلو رهنت إحدىٰ الطائفتين أجنبيّاً لم يرض أُولئك، كما أنّه لو دعا النبي صلّىٰ اللّه عليه [وآله] وسلّم الأجانب لم يرض أُولئك المقابلون له، ولا يلزم أن يكون أهل الرجل أفضل عند اللّه إذا قابل بهم لمن يقابله بأهله.

فقد تبيّن أنّ الآية لا دلالة فيها أصلاً علىٰ مطلوب الرافضي.

لكنّه ـ وأمثاله ممّن في قلبه زيغ ـ كالنصارىٰ الّذين يتعلّقون بالألفاظ المجملة ويدعون النصوص الصريحة، ثمّ قدحه في خيار الأُمّة بزعمه الكاذب، حيث زعم أنّ المُراد بالأنفس المساوون، وهو خلاف المستعمل في لغة العرب.

وممّا يبيّن ذلك أنّ قوله: ﴿نِسَاءنَا﴾ لا يختصّ بفاطمة، بل من دعاه من بناته كانت بمنزلتها في ذلك، لكن لم يكن عنده إذ ذاك إلّا فاطمة، فإنّ رقيّة وأم كلثوم وزينب كنّ قد توفّين قبل ذلك.

فكذلك ﴿أَنفُسَنَا﴾ ليس مختصّاً بعليٍّ، بل هذه صيغة جمع، كما أنّ ﴿نِسَاءنَا﴾ صيغة جمع، وكذلك ﴿أَبْنَاءنَا﴾ صيغة جمع، وإنّما دعا حسناً وحسيناً لأنّه لم يكن ممن يُنسب إليه بالبنوّة سواهما، فإنّ إبراهيم إن كان موجوداً إذ ذاك فهو طفل لا يُدعىٰ، فإنّ إبراهيم هو ابن مارية القبطيّة التي أهداها له المقوقس صاحب مصر، وأهدىٰ له البغلة ومارية وسيرين،

فأعطىٰ سيرين لحسّان بن ثابت، وتسرّىٰ مارية فولدت له إبراهيم، وعاش بضعة عشر شهراً ومات، فقال النبيّ صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم: إنّ له مرضعاً في الجنّة تتمّ رضاعته، وكان إهداء المقوقس بعد الحديبيّة بل بعد حنين»[1].

أقول:

كان هذا نص كلام ابن تيميّة في مسألة المباهلة، وقد جاء فيه:

١ ـ الاعتراف بصحّة الحديث.

وفيه ردٌّ علىٰ المشكّكين في صحّته وثبوته عن رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم.

٢ ـ الاعتراف باختصاص القضية بالأربعة الأطهار.

وفيه ردّ علىٰ المنحرفين عن أهل البيت عليهم السلام، المحرّفين للحديث بنقص «عليٍّ» منهم أو زيادة غيرهم عليهم!!

٣ ـ الاعتراف بأنّهم هم الّذين أدار عليهم الكساء.

وفيه ردٌّ علىٰ من زعم دخول غيرهم في آية التطهير، بل فيه دلالة علىٰ تناقض ابن تيميّة، لزعمه ـ في موضع من منهاجه ـ دخول الأزواج أخذاً بالسياق.

٤ ـ الاعتراف بأنّ في المباهلة نوع فضيلةٍ لعليٍّ.

---

(١) منهاج السُنّة ٧ / ١٢٢ ـ ١٣٠.

وفيه ردّ علىٰ من يحاول إنكار ذلك.

ثمّ إنّ ابن تيميّة ينكر دلالة الحديث علىٰ الإمامة مطلقاً، بكلامٍ مضطرب مشتمل علىٰ التهافت، وعلىٰ جوابٍ ـ قال الدّهلوي عنه: ـ هو من كلام النواصب!!

* فأوّل شيء قاله هو: إنّ أحداً لا يساوي رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم.

ونحن أيضاً نقول: إنّ أحداً لا يساويه لولا الآية والأحاديث القطعيّة الواردة عنه، كقوله صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم: «عليّ منّي وأنا من عليّ، وهو وليّكم بعدي»[1] وقوله ـ في قصّة سورة البراءة ـ: «لا يؤدّي عنّي إلّا أنا أو رجل منّي»[2].

وقوله صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم ـ لوفد ثقيف ـ: «لَتُسْلِمنّ أو لأبعثنّ عليكم رجلاً منّي ـ أو قال: مثل نفسي ـ ليضربنَّ أعناقكم وليسبينّ ذراريكم، وليأخذنّ أموالكم» قال عمر: فواللّٰه ما تمنّيت الإمارة إلّا

---

(١) هذا حديث الولاية، وهو من أصحّ الأحاديث وأثبتها، وقد بحثنا عنه سنداً ودلالةً في الجزء الخامس عشر من أجزاء كتابنا الكبير «نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار».

(٢) وهذا أيضاً من أصحّ الأحاديث وأثبتها، راجع: مسند أحمد ١ / ٣، ١٥١، وصحيح الترمذي، والخصائص للنسائي، والمستدرك علىٰ الصحيحين، وراجع التفاسير في سورة البراءة.

يومئذٍ، فجعلت أنصب صدري رجاء أن يقول: هو هذا. فالتفت إلىٰ عليٍّ فأخذ بيده وقال: «هو هذا هو هذا»[(١)].

وقوله صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم منزّلاً إيّاه منزلة نفسه: «إنّ منكم من يقاتل علىٰ تأويل القرآن كما قاتلت علىٰ تنزيله» فاستشرف له أبو بكر وعمر وغيرهما، كلّ يقول: أنا هو؟ قال: لا؛ ثمّ قال: «ولكن خاصف النعل» وكان قد أعطىٰ عليّاً نعله يخصفها[(٢)].

إلىٰ غير ذلك من الأحاديث.

فإذا كان هذا قول اللّٰه وكلام الرسول، فماذا نفعل نحن؟!

* ثمّ إنّه أنكر دلالة لفظ «الأنفس» علىٰ «المساواة» في لغة العرب، فقال بأنّ المراد منه في الآية هو من يتّصل بالقرابة، واستشهد لذلك بآياتٍ من القرآن.

لكن ماذا يقول ابن تيميّة في الآيات التي وقع فيها المقابلة بين: «النفس» و «الأقرباء» كما في قوله تعالىٰ: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾**[(٣)] وقوله: **﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ﴾**[(٤)]

---

(١) راجع: الاستيعاب ٣ / ١١٠٩، ترجمة أمير المؤمنين.

(٢) أخرجه أحمد ٣ / ٣٣، والحاكم ٣ / ١٢٢، والنسائي في الخصائص، وابن عبدالبر وابن حجر وابن الأثير بترجمته. وكذا غيرهم.

(٣) سورة التحريم ٦٦ : ٦.

(٤) سورة الزمر ٣٩ : ١٥، وسورة الشورىٰ ٤٢ : ٤٥.

فكذلك آية المباهلة.

غير أنّ «النفس» في الآيتين المذكورتين مستعملة في نفس الإنسان علىٰ وجه الحقيقة، أمّا في آية المباهلة فهي مستعملة ـ لتعذّر الحقيقة ـ علىٰ وجه المجاز لمن نُزِّل بمنزلة النفس، وهو عليّ عليه السلام، للحديث القطعي الوارد في القضيّة.

* ثمّ إنّه أكّد كون أخذ الأربعة الأطهار عليهم السلام لمجرّد القرابة بإنكار الإستعانة بهم في الدعاء، فقال: «لم يكن المقصود إجابة الدعاء، فإنّ دعاء النبيّ وحده كافٍ»!

لكنّه اجتهاد في مقابلة النصّ، فقد روىٰ القوم أنّه صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم قال لهم: «إذا أنا دعوت فأمّنوا»[1]، وأنّه قد عرف أُسقف نجران ذلك حيث قال: «إنّي لأرىٰ وجوهاً لو شاء اللّه أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها» أو: «لو سألوا اللّه أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها»[2].

* ثمّ قال ابن تيميّة: «لم يكن المقصود دعوة من دعاه لإجابة دعائه، بل لأجل المقابلة بين الأهل والأهل... فإنّ المقصود أنّ أُولئك يأتون بمن يشفقون عليه طبعاً كأبنائهم ونسائهم ورجالهم...».

وهذا كلام النواصب... كما نصّ عليه الدهلوي في عبارته الآتية.

---

(١) تقدّم ذكر بعض مصادره.

(٢) الكشّاف، الرازي، البيضاوي وغيرهم، بتفسير الآية.

وحاصل كلامه: أنّه إنّما دعاهم لكونهم أقرباءه فقط، علىٰ ما كان عليه المتعارف في المباهلة، فلا مزيّة لمن دعاه أبداً، فلا دلالة في الآية علىٰ مطلوب الشيعة أصلاً، لكنّهم كالنصارىٰ...!!

لكنّه يعلم بوجود الكثيرين من أقربائه ـ من الرجال والنساء ـ وعلىٰ رأسهم عمّه العبّاس، فلو كان التعبير بالنفس لمجرّد القرابة لدعا العبّاس وأولاده وغيرهم من بني هاشم!

فيناقض نفسه ويرجع إلىٰ الاعتراف بمزيّةٍ لمن دعاهم، وأنّ المقام ليس مقام مجرّد القرابة...!! انظر إلىٰ كلامه:

«ولم يكن النبيّ صلّىٰ اللّه عليه [وآله] وسلّم قد بقي من أعمامه إلّا العبّاس، والعبّاس لم يكن من السابقين الأوّلين، ولا كان له به اختصاص كعليٍّ، وأما بنو عمّه فلم يكن فيهم مثل عليٍّ... فتعيّن عليّ رضي اللّه عنه.

وكونه تعيّن للمباهلة إذ ليس في الأقارب ممن يقوم مقامه لا يوجب... بل له بالمباهلة نوع فضيلة...».

إذن!! لابُدّ في المباهلة من أن يكون المباهل به صاحب مقامٍ يمتاز به عن غيره، ويقدّمه علىٰ من سواه، وقد ثبت ذلك لعليٍّ عليه السلام بحيث ناسب أن يأمر اللّه رسوله بأن يعبّر عنه لأجله بأنّه نفسه، وهذا هو المقصود من الاستدلال بالآية المباركة، وبه يثبت المطلوب.

فانظر كيف اضطربت كلمات الرجل وناقض نفسه!!

* غير أنّه بعد الإعتراف بالفضيلة تأبىٰ نفسه السكوت عليها، وإذ

لا يمكنه دعوىٰ مشاركة زيد وعمر وبكر...!! معه فيها كما زعم ذلك في غير موضعٍ من كتابه فيقول:

«وهي مشتركة بينه وبين فاطمة وحسن وحسين...».

وهكذا قال ـ في موضعٍ من كتابه ـ حول آية التطهير لمّا لم يجد بُدّاً من الإعتراف باختصاصها بأهل البيت....

لكنّه غفل أو تغافل أنّ هذه المشاركة لا تضر باستدلال الشيعة بل تنفع، إذ تكون الآية من جملة الدلائل القطعيّة علىٰ أفضليّة بضعة النبيّ فاطمة وولديه الحسنين عليهم السلام من سائر الصحابة عدا أمير المؤمنين عليه السلام ـ كما دلّ علىٰ ذلك حديث: «فاطمة بضعة منّي...» وقد بيّنا ذلك سابقاً ـ فعليّ هو الإمام بعد رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم بالآية المباركة والحديث القطعي الوارد في شأن نزولها.

*** وقال أبو حيّان:**

«﴿**نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ**﴾.

أي: يدع كلّ منّي ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلىٰ المباهلة. وظاهر هذا أنّ الدعاء والمباهلة بين المخاطب بـ(قل) وبين من حاجّه. وفُسّر علىٰ هذا الوجه الأبناء بالحسن والحسين، والنساء بفاطمة، والأنفس بعليٍّ. قاله الشعبي. ويدلّ علىٰ أنّ ذلك مختصٌّ بالنبيّ مع من حاجّه ما ثبت في صحيح مسلم من حديث سعد بن أبي وقّاص، قال: لمّا نزلت هذه الآية ﴿**تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ**﴾ دعا رسول الله صلّىٰ الله عليه

[وآله] وسلّم فاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: اللّهمّ هؤلاء أهلي.

وقال قوم: المباهلة كانت عليه وعلىٰ المسلمين، بدليل ظاهر قوله ﴿نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ﴾ علىٰ الجمع، ولمّا دعاهم دعا بأهله الذين في حوزته، ولو عزم نصارىٰ نجران علىٰ المباهلة وجاؤا لها لأمر النبيّ صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم المسلمين أن يخرجوا بأهاليهم لمباهلته.

وقيل: المراد بـ﴿أَنفُسَنَا﴾ الإخوان. قاله ابن قتيبة. قال تعالىٰ: ﴿وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ أي: إخوانكم.

وقيل: أهل دينه. قاله أبو سليمان الدمشقي.

وقيل: الأزواج.

وقيل: أراد القرابة القريبة. ذكرهما علي بن أحمد النيسابوري.

... قال أبو بكر الرازي: وفي الآية دليل علىٰ أنّ الحسن والحسين ابنا رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم.

وقال أبو أحمد ابن علّان: كانا إذ ذاك مكلّفين، لأنّ المباهلة عنده لا تصحّ إلّا من مكلّف.

وقد طوّل المفسّرون بما رووا في قصّة المباهلة، ومضمنها: أنّه دعاهم إلىٰ المباهلة وخرج بالحسن والحسين وفاطمة وعليٍّ إلىٰ الميعاد، وأنّهم كفّوا عن ذلك ورضوا بالإقامة علىٰ دينهم، وأن يؤدّوا الجزية، وأخبرهم أحبارهم أنّهم إن باهلوا عُذّبوا وأخبر هو صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم أنّهم إن باهلوا عذّبوا، وفي ترك النصارىٰ الملاعنة

لعلمهم بنبوّته شاهد عظيم علىٰ صحّة نبوّته.

قال الزمخشري: فإن قلت...»[١].

أقول:

لعلّ تقديمه حديث مسلم عن سعدٍ في أنّ المراد من ﴿أَنفُسَنَا﴾ هو عليٌّ عليه السلام... يدلّ علىٰ ارتضائه لهذا المعنىٰ... لكنّ الحديث جاء في الكتاب محرّفاً بحذف «عليّ»!!

وليته لم يذكر الأقاويل الأُخرىٰ، فإنّها هواجس نفسانية وإلقاءات شيطانيّة، لا يجوز إيرادها بتفسير الآيات القرآنيّة.

لكن يظهر منه الإعتماد علىٰ هذه الأقوال!! حين ينفي بها الإجماع علىٰ أنّ المُراد من ﴿أَنفُسَنَا﴾ هو عليّ عليه السلام، ليبطل استدلال الشيخ الحمصي بالآية علىٰ أفضليّة الإمام علىٰ سائر الأنبياء.

*** وقال القاضي الإيجي وشارحه الجرجاني:**

ولهم ـ أي للشيعة ومن وافقهم ـ فيه أي ـ في بيان أفضلية علي ـ مسلكان:

الأوّل: ما يدلّ عليه ـ أي علىٰ كونه أفضل ـ إجمالاً، وهو وجوه: الأوّل: آية المباهلة، وهي قوله تعالىٰ: ﴿تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ﴾. وجه الإحتجاج: إنّ قوله تعالىٰ:

---

(١) البحر المحيط ٢ / ٤٧٩ ـ ٤٨٠.

﴿أَنفُسَنَا﴾ لم يرد به نفس النبيّ، لأنّ الإنسان لا يدعو نفسه، بل المراد به عليّ، دلّت عليه الأخبار الصحيحة والروايات الثابتة عند أهل النقل إنّه عليه السلام دعا عليّاً إلىٰ ذلك المقام، وليس نفس عليٍّ نفس محمّد حقيقة، فالمراد المساواة في الفضل والكمال، فترك العمل به في فضيلة النبوة وبقي حجةً في الباقي، فيساوي النبيّ في كلّ فضيلةٍ سوىٰ النبوّة، فيكون أفضل من الأُمة.

وقد يمنع: إن المراد بـ﴿أَنفُسَنَا﴾ عليٌّ وحده، بل جميع قراباته وخدمه النازلون عرفاً منزلة نفسه عليه السلام داخلون فيه، تدلّ عليه صيغة الجمع»[1].

أقول:

لا يخفىٰ اعترافهما بدلالة الآية علىٰ الأفضليّة، وبكون عليٍّ في المباهلة، «دلّت عليه الأخبار الصحيحة والروايات الثابتة عند أهل النقل» وبدلالة ﴿أَنفُسَنَا﴾ علىٰ «المساواة».

غير انّهما زعما دخول غيره معه في ذلك، لكنّهما قالا: «وقد يمنع» وكأنّهما ملتفتان إلىٰ بطلان ما زعماه، خصوصاً كون المراد «خدمه» بالاضافة إلىٰ «جميع قراباته»، فإنّ النبي صلّىٰ اللّه عليه وآله وسلّم لم يُخرِج معه حتىٰ عمّه، فكيف يكون المراد «جميع قراباته وخدمه»؟!!

(١) شرح المواقف ٨ / ٣٦٧.

*** وقال ابن روزبهان:**

«كان عادة أرباب المباهلة أن يجمعوا أهل بيتهم وقراباتهم لتشمل البهلة سائر أصحابهم، فجمع رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم أولاده ونساءه، والمراد بالأنفس هاهنا: الرجال، كأنّه أمر بأن يجمع نساءه وأولاده ورجال أهل بيته، فكان النساء فاطمة والأولاد الحسن والحسين والرجال رسول الله صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم وعليّ.

وأمّا دعوىٰ المساواة التي ذكرها فهي باطلة قطعاً، وبطلانها من ضروريات الدين، لأن غير النبيّ صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم من الأُمّة لا يساوي النبيّ أصلاً، ومن ادّعىٰ هذا فهو خارج عن الدين، وكيف يمكن المساواة والنبيّ نبي مرسل خاتم الأنبياء أفضل أُولي العزم، وهذه الصفات كلّها مفقودة في عليٍّ. نعم، لأمير المؤمنين عليّ في هذه الآية فضيلة عظيمة وهي مسلّمة، ولكن لا تصير دالّةً علىٰ النصّ بإمامته»(١).

أقول:

وفي كلامه مطالب ثلاثة:

الأوّل: إنّ ما صنعه النبيّ صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم إنّما كان جرياً علىٰ عادة أرباب المباهلة....

وهذا كلام النواصب في الجواب عن هذه الآية، كما نصّ عليه

---

(١) إبطال الباطل. راجع: إحقاق الحق ٣/ ٦٢.

صاحب «التحفة الاثنا عشرية»، ويرد عليه ما تقدّم من أنّه لو كان كذلك فلماذا لم يخرج العبّاس وبنيه وأمثالهم من الأقرباء؟ لكنّ فعل النبيّ صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم دليل علىٰ أنّ للمقام خصوصيةً ولمن دعاهم مراتب عند اللّٰه تعالىٰ، وليس جرياً علىٰ عادة العرب في مباهلة البعض مع البعض.

والثاني: إنّ غير النبيّ من الأُمّة لا يساوي النبيّ أصلاً.

وقد تقدّم الجواب عنه عند الكلام مع ابن تيميّة.

والثالث: إنّ لأمير المؤمنين في هذه الآية فضيلة عظيمة، وهي مسلّمة.

قلت: هي للأربعة كلّهم لكنّ عليّاً أفضلهم، فهو الإمام بعد رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم.

قوله: لكن لا تصير دالّة علىٰ النصّ بإمامته.

قلت: إنّ الآية تدلّ علىٰ المساواة بينه وبين النبيّ في الكمالات الذاتيّة، ولا أقلّ من كونها دالّةً علىٰ فضيلة عظيمة ـ باعترافه ـ غير حاصلة لخصومه، فهو الأفضل، فهو الإمام دون غيره بعد رسول اللّٰه.

*** وقال عبدالعزيز الدهلوي ما تعريبه:**

«ومنها آية المباهلة، وطريق تمسّك الشيعة بهذه الآية هو أنّه لمّا نزلت **﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ..﴾** خرج رسول اللّٰه صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم من بيته ومعه

عليّ وفاطمة وحسن وحسين، فالمراد من ﴿أَبْنَاءنَا﴾ الحسن والحسين، ومن ﴿أَنفُسَنَا﴾ الأمير، وإذا صار نفس الرسول ـ وظاهرٌ أنّ المعنىٰ الحقيقي لكونه نفسه محال ـ فالمراد هو المساوي، ومَن كان مساوياً لنبيّ عصره كان بالضرورة أفضل وأَولىٰ بالتصرّف من غيره؛ لأنّ المساوي للأفضل الأَولى بالتصرّف، أفضلُ وأَولىٰ بالتصرّف، فيكون إماماً، إذ لا معنىٰ للإمام إلّا الأفضل الأَولىٰ بالتصرّف.

هذا بيان وجه الإستدلال، ولا يخفىٰ أنّه بهذا التقريب غير موجود في كلام أكثر علماء الشيعة، فلهذه الرسالة الحقّ عليهم من جهة تقريرها وتهذيبها لأكثر أدلّتهم، ومن شكّ في ذلك فلينظر إلىٰ كتبهم ليجد كلماتهم متشتتة مضطربة قاصرة عن إفادة مقصدهم.

وهذه الآية في الأصل من جملة دلائل أهل السُنّة في مقابلة النواصب، وذلك لأنّ أخذ النبيّ صلّىٰ اللّه عليه [وآله] وسلّم الأمير وأُولئك الأجلّة معه، وتخصيصهم بذلك دون غيرهم يحتاج إلىٰ مرجّح، وهو لا يخلو عن أمرين:

فإمّا لكونهم أعزّةً عليه، وحينئذٍ يكون إخراجهم للمباهلة ـ وفيها بحسب الظاهر خطر المهلكة ـ موجباً لقوّة وثوق المخالفين بصدق نبوّته وصحّة ما يخبر به عن عيسىٰ وخلقته، إذ العاقل ما لم يكن جازماً بصدق دعواه لا يعرّض أعزّته إلىٰ الهلاك والاستئصال.

وهذا الوجه مختار أكثر أهل السنّة والشيعة، وهو الذي ارتضاه

عبدالله المشهدي في إظهار الحقّ، فدلّت الآية علىٰ كون هؤلاء الأشخاص أعزّةً علىٰ رسول الله، والأنبياء مبرّأون عن الحبّ والبغض النفسانيّين، فليس ذلك إلّا لدينهم وتقواهم وصلاحهم، فبطل مذهب النواصب القائلين بخلاف ذلك.

وإما لكي يشاركونه في الدعاء علىٰ كفّار نجران، ويعينونه بالتأمين علىٰ دعائه عليهم فيستجاب بسرعة، كما يقول أكثر الشيعة وذكره عبدالله المشهدي أيضاً، فتدلّ الآية ـ بناءً عليه كذلك ـ علىٰ علوّ مرتبتهم في الدّين وثبوت استجابة دعائهم عند الله.

وفي هذا أيضاً ردّ علىٰ النواصب.

وقد قدح النواصب في كلا الوجهين وقالوا: بأنّ إخراجهم لم يكن لشيءٍ منهما، وإنّما كان لإلزام الخصم بما هو مسلّم الثبوت عنده، إذ كان مسلَّماً عند المخالفين ـ وهم الكفّار ـ أنّ البهلة لا تعتبر إلّا بحضور الأولاد والختن والحلف علىٰ هلاكهم، فلذا أخرج النبيّ أولاده وصهره معه ليلزمهم بذلك.

وظاهر أنّ الأقارب والأولاد ـ كيفما كانوا ـ يكونون أعزّةً علىٰ الإنسان في اعتقاد الناس وإن لم يكونوا كذلك عند الإنسان نفسه، يدلّ علىٰ ذلك أنّه لو كان هذا النوع من المباهلة حقّاً عنده صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم لكان سائغاً في الشريعة، والحال أنّه ممنوع فيها. فظهر أن ما صنعه إنّما كان إسكاتاً للخصم.

وعلىٰ هذا القياس يسقط الوجه الثاني أيضاً، فإنّ هلاك وفد نجران لم يكن من أهمّ المهمّات، فقد مرّت عليه حوادث كانت أشدّ وأشقّ عليه من هذه القضيّة، ولم يستعن في شيء منها في الدعاء بهؤلاء، علىٰ أنّ من المتّفق عليه استجابة دعاء النبي في مقابلته مع الكفّار، وإلّا يلزم تكذيبه ونقض الغرض من بعثته.

فهذا كلام النواصب، وقد أبطله ـ بفضل اللّه تعالىٰ ـ أهل السُنّة بما لا مزيد عليه كما هو مقرّر في محلّه، ولا نتعرّض له خوفاً من الإطالة.

وعلىٰ الجملة، فإنّ آية المباهلة هي في الأصل ردّ علىٰ النواصب، لكنّ الشيعة يتمسّكون بها في مقابلة أهل السُنّة، وفي تمسّكهم بها وجوه من الإشكال:

أمّا أوّلاً: فلأنّا لا نسلّم أن المُراد ﴿**بأَنفُسَنَا**﴾ هو الأمير، بل المراد نفسه الشريفة، وقول علمائهم في إبطال هذا الاحتمال بأنّ الشخص لا يدعو نفسه غير مسموع، إذ قد شاع وذاع في القديم والحديث «دعته نفسه إلىٰ كذا» و «دعوت نفسي إلىٰ كذا» ﴿**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ**﴾ و «أمرت نفسي» و «شاورت نفسي» إلىٰ غير ذلك من الاستعمالات الصحيحة الواقعة في كلام البلغاء. فيكون حاصل ﴿**نَدْعُ أَنفُسَنَا**﴾: نحضر أنفسنا.

وأيضاً: فلو قرّرنا الأمير من قبل النبيّ مصداقاً لقوله ﴿**أَنفُسَنَا**﴾ فمَن نقرّره مِن قبل الكفّار مع أنّهم مشتركون في صيغة ﴿**نَدْعُ**﴾. إذ

لا معنىٰ لدعوة النبيّ إيّاهم وأبناءهم بعد قوله: ﴿تَعَالَوْاْ﴾.

فظهر أنّ الأمير داخل في ﴿أَبْنَاءنَا﴾ ـ كما أنّ الحسنين غير داخلين في الأبناء حقيقةً وكان دخولهما حُكماً ـ لأنّ العرف يعدّ الختن ابناً، من غير ريبةٍ في ذلك.

وأيضاً: فقد جاء لفظ النفس بمعنىٰ القريب والشريك في الدين والملّة، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿**يخرجون أنفسهم من ديارهم**﴾ أي: أهل دينهم.. ﴿**وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ**﴾.. ﴿**لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً**﴾. فلمّا كان للأمير اتّصال بالنبيّ صلّىٰ اللّه عليه [وآله] وسلّم في النسب والقرابة والمصاهرة واتّحاد في الدين والملّة، وقد كثرت معاشرته والأُلفة معه حتىٰ قال: «عليّ منّي وأنا من عليّ» كان التعبير عنه بالنفس غير بعيد، فلا تلزم المساواة كما لا تلزم في الآيات المذكورة.

وأمّا ثانياً: فلو كان المراد مساواته في جميع الصفات، يلزم الاشتراك في النبوّة والخاتميّة والبعثة إلىٰ كافّة الخلق، والاختصاص بزيادة النكاح فوق الأربع، والدرجة الرفيعة في القيامة، والشفاعة الكبرىٰ والمقام المحمود، ونزول الوحي، وغير ذلك من الأحكام المختصّة بالنبيّ، وهو باطل بالإجماع.

ولو كان المراد المساواة في البعض، لم يحصل الغرض، لأنّ المساواة في بعض صفات الأفضل والأولىٰ بالتصرّف لا تجعل صاحبها

أفضل وأَولىٰ بالتصرّف، وهو ظاهراً جداً.

وأيضاً: فإنّ الآية لو دلّت علىٰ إمامة الأمير، لزم كونه إماماً في زمن النبيّ وهو باطل بالاتّفاق، فإن قيّد بوقتٍ دون وقت ـ مع أنّه لا دليل عليه في اللفظ ـ لم يكن مفيداً للمدّعىٰ؛ لأن أهل السُنّة أيضاً يثبتون إمامته في وقت من الأوقات»(١).

أقول:

وفي كلامه مطالب:

١ ـ دعوىٰ أنّ التقريب الذي ذكره للاستدلال بالآية غير وارد في أكثر كتب الشيعة، قال: «وكذلك الأدلّة الأُخرىٰ غالباً،...».

وأنت ترىٰ كذب هذه الدعوىٰ بمراجعتك لوجه الاستدلال في بحثنا هذا، إذ تجد العبارة مذكورة في كتب أصحابنا إمّا باللفظ وإمّا بما يؤدّي معناه؛ فلا نطيل.

٢ ـ نسبة المناقشة في دلالة الآية المباركة. بما ذكره إلىٰ النواصب، وأنّ أهل السُنّة يدافعون عن أهل البيت في قبال أُولئك....

وقد وجدنا ما عزاه إلى النواصب في كلام ابن تيمية وابن روزبهان، في ردّهما علىٰ العلّامة الحلّي، فالحمد للّه الذي كشف عن حقيقة حالهم

(١) التحفة الاثنا عشرية: ٢٠٦ ـ ٢٠٧. وقد ذكرنا كلامه بطوله لئلّا يظنّ ظانّ أنا أسقطنا منه شيئاً ممّا له دخل في البحث مع الشيعة حول الآية المباركة.

بما أجراه علىٰ لسانهم....

٣ ـ عدم التسليم بأنّ المراد من ﴿أَنفُسَنَا﴾ هو «عليّ» بل المعنىٰ: «نحضر أنفسنا»، واستشهد ـ في الردّ علىٰ قول الإمامية بأنّ الشخص لا يدعو نفسه ـ بعبارات شائعة في كلام العرب في القديم والحديث كما قال.

ونحن لا نناقشه في المعاني المجازيّة لتلك العبارات، ونكتفي بالقول ـ مضافاً إلىٰ اعتراف غير واحد من أئمّة القوم بأنّ الإنسان الداعي إنّما يدعو غيره لا نفسه[1] ـ بأنّ الأحاديث القطعيّة عند الفريقين دلّت علىٰ أنّ المراد من ﴿وَأَنفُسَنَا﴾ هو عليّ عليه السلام، فما ذكره يرجع في الحقيقة إلىٰ عدم التسليم بتلك الأحاديث وتكذيب رواتها ومخرّجيها، وهذا ما لا يمكنه الالتزام به.

٤ ـ إدخال عليٍّ عليه السلام في ﴿أَبْنَاءنَا﴾..!!

وفيه: أنّه مخالفٌ للنصوص.

ولا يخفىٰ أنّه محاولة لإخراج الآية عن الدلالة علىٰ كون عليٍّ نفس النبيّ، لعلمه بالدلالة حينئذٍ علىٰ المساواة، وإلّا فإدخاله في ﴿أَبْنَاءنَا﴾ أيضاً اعترافٌ بأفضليّته!!

واستشهاده بالآيات مردود بما عرفت في الكلام مع ابن تيميّة.

---

(١) لاحظ: شيخ زادة علىٰ البيضاوي ١ / ٦٣٤.

علىٰ أنّه اعترف بحديث «عليّ منّي وأنا من عليّ» وهو ممّا لا يعترف به ابن تيميّة وسائر النواصب.

٥ ـ ردّه علىٰ المساواة بأنّه: إن كان المراد المساواة في جميع الصفات، يلزم المساواة بين عليٍّ والنبيّ في النبوّة والرسالة والخاتميّة والبعثة إلىٰ الخلق كافة ونزول الوحي... وإن كان المراد المساواة في بعض الصفات فلا يفيد المدّعىٰ....

قلنا: المراد هو الأوّل، إلّا النبوّة، والأُمور التي ذكرها من الخاتميّة والبعثة... كلّها من شؤون النبّوة....

فالآية دالة علىٰ حصول جميع الكمالات الموجودة في النبي في شخص عليٍّ، عدا النبوّة، وقد جاء في الحديث عنه صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم أنّه قال لعليّ: «يا عليّ! ما سألتُ اللّٰه شيئاً إلّا سألتُ لك مثله، ولا سألت اللّٰه شيئاً إلّا أعطانيه، غير إنّه قيل لي: أنّه لا نبيّ بعدك»[1].

٦ ـ وبذلك يظهر أنّه عليه السلام كان واجداً لحقيقة الإمامة ـ وهو وجوب الطاعة المطلقة، والأولوّية التامّة بالنسبة للأمّة ـ في حياة النبيّ صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم، إلّا أنّه كان تابعاً للنبيّ مطيعاً له إطاعةً وانقياداً لم يحدّثنا التاريخ به عن غيره علىٰ الإطلاق.

فسقط قوله أخيراً: «فإنّ الآية لو دلّت علىٰ إمامة الأمير...».

(١) أخرجه جماعة، منهم النسائي في الخصائص: ح ١٤٦ و ح ١٤٧.

*** والآلوسي:**

انتحل كلام الدهلوي، بلا زيادةٍ أو نقصان، كبعض الموارد الأُخرىٰ، وجوابه جوابه، فلا نكرّر.

*** وقال الشيخ محمّد عبده:**

«إنّ الروايات متّفقة علىٰ أن النبي صلّىٰ اللّٰه عليه [وآله] وسلّم اختار للمباهلة عليّاً وفاطمة وولديها، ويحملون كلمة ﴿نِسَاءنَا﴾ علىٰ فاطمة، وكلمة ﴿أَنفُسَنَا﴾ علىٰ عليٍّ فقط.

ومصادر هذه الروايات الشيعة، ومقصدهم منها معروف، وقد اجتهدوا في ترويجها ما استطاعوا حتّىٰ راجت علىٰ كثيرٍ من أهل السُنّة، ولكن واضعيها لم يحسنوا تطبيقها علىٰ الآية، فإنّ كلمة ﴿نِسَاءنَا﴾ لا يقولها العربي ويريد بها بنته، لا سيّما إذا كان له أزواج، ولا يفهم هذا من لغتهم، وأبعد من ذلك أنّ يراد بـ﴿أَنفُسَنَا﴾ عليّ ـ عليه الرضوان ـ.

ثمّ إنّ وفد نجران الّذين قالوا إنّ الآية نزلت فيهم لم يكن معهم نساؤهم وأولادهم»[1].

أقول:

وفي هذا الكلام إقرارٌ، وادعاءٌ، ومناقشة عن عناد.

أمّا الإقرار، فقوله: «إنّ الروايات متّفقة...» فالحمد للّٰه علىٰ أن بلغت

---

(١) تفسير المنار ٣ / ٣٢٢.

الروايات في القضيّة من الكثرة والقوّة حدّاً لا يجد مثل هذا الرجل بُدّاً من أن يعترف بالواقع والحقيقة.

لكنّه لمّا رأىٰ أنّ هذا الإقرار يستلزم الإلتزام بنتيجة الآية المباركة والروايات الواردة فيها، وهذا ما لا تطيقه نفسه!! عاد فزعم أمراً لا يرتضيه عاقل فضلاً عن فاضل!

أمّا الادّعاء، فقال: «مصادر هذه الروايات الشيعة... وقد اجتهدوا في ترويجها..».

لكنّه يعلم ـ كغيره ـ بكذب هذه الدعوىٰ، فمصادر هذه الروايات القطعيّة ـ وقد عرفت بعضها ـ ليست شيعيّة. لما كانت دلالتها واضحة «والمقصد منها معروف»، عمد إلىٰ المناقشة بحسب اللغة، وزعم أنّ العربي لا يتكلّم هكذا.

وما قاله محض استبعاد ولا وجه له إلّا العناد! لأنّا لا نحتمل أن يكون هذا الرجل جاهلاً بأنّ لفظ «النساء» يطلق علىٰ غير الأزواج كما في القرآن الكريم وغيره، أو يكون جاهلاً بأنّ أحداً لم يدّع استعمال اللفظ المذكور في خصوص «فاطمة» وأنّ أحداً لم يدّع استعمال ﴿أَنفُسَنَا﴾ في «عليٍّ» عليه السلام.

إنّ هذا الرجل يعلم بأنّ الروايات صحيحة وواردة من طرق القوم أنفسهم، والاستدلال قائم علىٰ أساسها، إذ أنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم جعل عليّاً فقط المصداق لـ﴿أَنفُسَنَا﴾ وفاطمة فقط المصداق

لـ﴿نِسَاءنَا﴾ وقد كان له أقرباء كثيرون وأصحاب لا يحصون... كما كان له أزواج عدّة، والنساء في عشيرته وقومه كثرة.

فلابُدّ أن يكون ذلك مقتضياً لتفضيل عليٍّ عليه السلام علىٰ غيره من أفراد الأُمّة، وهذا هو المقصود.

تكميل:

وأمّا تفضيله ـ بالآية ـ علىٰ سائر الأنبياء عليهم السلام ـ كما عن الشيخ محمود بن الحسن الحمصي ـ فهذا هو الذي انتقده الفخر الرازي، وتبعه النيسابوري، وأبو حيّان الأندلسي:

* قال الرازي ـ بعد أن ذكر موجز القصّة، ودلالة الآية علىٰ أنّ الحسنين إبنا رسول الله ـ:

«كان في الريّ رجل يقال له: محمود بن الحسن الحمصي، وكان معلّم الاثني عشرية[1] وكان يزعم أنّ علياً رضي الله عنه أفضل من جميع الأنبياء سوىٰ محمّد عليه السلام، قال: والذي يدلّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ﴾ وليس المراد بقوله ﴿وَأَنفُسَنَا﴾ نفس محمّد صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم، لأنّ الإنسان لا يدعو نفسه، بل المراد

(١) وهو صاحب كتاب «المنقذ من التقليد»، وفي بعض المصادر أن الفخر الرازي قرأ عليه، توفّي في أوائل القرن السابع، كما في ترجمته بمقدّمة كتابه المذكور، طبعة مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة ـ قم.

به غيره، واجمعوا علىٰ أنّ ذلك الغير كان عليّ بن أبي طالب رضي اللّـه عنه فدلّت الآية علىٰ أنّ نفس عليٍّ هي نفس محمّد، ولا يمكن أن يكون المراد منه أنّ هذه النفس هي عين تلك النفس، فالمراد أنّ هـذه النـفس مثل تلك النفس، وذلك يقتضي الاستواء في جميع الوجوه، ترك العمل بهذا العموم في حقّ النبوّة وفي حقّ الفضل، لقيام الدلائل علىٰ أنّ محمّداً عليه السلام كان نبيّاً وما كان عليّ كـذلك، ولانـعقاد الإجـماع عـلىٰ أنّ محمّداً عليه السلام كان أفضل من عليٍّ، فيبقىٰ فيما وراءه معمولاً به.

ثمّ الإجماع دلّ علىٰ أنّ محمّداً عليه السلام كان أفضل مـن سـائر الأنبياء عليهم السلام، فيلزم أن يكون عليّ أفضل من سائر الأنبياء.

فهذا وجه الاستدلال بظاهر هذه الآية.

ثمّ قال: ويؤيّد الاسـتدلال بـهذه الآيـة: الحـديث المـقبول عـند الموافق والمخالف وهو قوله عليه السلام: من أراد أن يرىٰ آدم في علمه، ونوحاً في طاعته، وإبراهيم في خلّته، وموسىٰ في هـيبته، وعـيسىٰ فـي صفوته، فلينظر إلىٰ عليّ بن أبي طالب.

فالحديث دلّ علىٰ أنّه اجتمع فيه ما كان متفرّقاً فيهم، وذلك يدلّ علىٰ أن عليّاً رضي اللّه عنه أفضل من جميع الأنبياء سوىٰ محمّد صلّىٰ اللّه عليه [وآله] وسلّم.

وأمّا سائر الشيعة، فقد كانوا ـ قديماً وحديثاً ـ يستدلّون بهذه الآية

علىٰ أنّ علياً رضي الله عنه مثل نفس محمّد عليه السلام إلّا في ما خصّه الدليل، وكان نفس محمّد أفضل من الصحابة، فوجب أن يكون نفس عليّ أفضل من سائر الصحابة.

هذا تقرير كلام الشيعة.

والجواب: إنّه كما انعقد الإجماع بين المسلمين علىٰ أنّ محمّداً عليه السلام أفضل من عليٍّ، فكذلك انعقد الإجماع بينهم -قبل ظهور هذا الإنسان- علىٰ أنّ النبيّ أفضل ممّن ليس بنبيّ، وأجمعوا علىٰ أنّ عليّاً ما كان نبيّاً، فلزم القطع بأنّ ظاهر الآية كما أنّه مخصوص في حق محمّد صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم، فكذلك مخصوص في حقّ سائر الأنبياء عليهم السلام». انتهىٰ[(١)].

* وكذا قال النيسابوري، وهو ملخّص كلام الرازي، علىٰ عادته، وقد تقدّم نصّ ما قال.

* وقال أبو حيّان، بعد أن ذكر كلام الزمخشري في الآية المباركة: «ومن أغرب الاستدلال ما استدلّ به محمّد[(٢)] بن علي الحمصي...» فذكر الاستدلال، ثمّ قال: «وأجاب الرازي: بأنّ الإجماع منعقد علىٰ أنّ النبيّ صلّىٰ الله عليه [وآله] وسلّم أفضل ممّن ليس بنبّي، وعلي لم يكن نبيّاً،

(١) تفسير الرازي ٨/ ٨١.

(٢) كذا، والصحيح: محمود.

فلزم القطع بأنّه مخصوص في حقّ جميع الأنبياء».

قال: «وقال الرازي: استدلال الحمصي فاسد من وجوه:

منها قوله: (إنّ الإنسان لا يدعو نفسه) بل يجوز للإنسان أن يدعو نفسه، تقول العرب: دعوت نفسي إلىٰ كذا فلم تجبني. وهذا يسمّيه أبو علي بالتجريد.

ومنها قوله: (وأجمعوا علىٰ أنّ الذي هو غيره هو عليّ) ليس بصحيح، بدليل الأقوال التي سيقت في المعنيّ بقوله: ﴿وَأَنفُسَنَا﴾.

ومنها قوله: (فيكون نفسه مثل نفسه) ولا يلزم المماثلة أن تكون في جميع الأشياء، بل تكفي المماثلة في شيءٍ ما، هذا الذي عليه أهل اللغة، لا الذي يقوله المتكلّمون من أنّ المماثلة تكون في جميع صفات النفس، هذا اصطلاح منهم لا لغة، فعلىٰ هذا تكفي المماثلة في صفةٍ واحدة، وهي كونه من بني هاشم، والعرب تقول: هذا من أنفسنا، أي: من قبيلتنا.

وأمّا الحديث الذي استدلّ به فموضوع لا أصل له»[1].

أقول:

ويبدو أنّ الرازي هنا وكذا النيسابوري أكثر إنصافاً للحقّ من أبي حيّان؛ لأنّهما لم يناقشا أصلاً في دلالة الآية المباركة والحديث

---

(١) البحر المحيط ٢ / ٤٨٠.

القطعي علىٰ أفضليّة عليٍّ عليه السلام علىٰ سائر الصحابة.

أمّا في الاستدلال بها علىٰ أفضليّته علىٰ سائر الأنبياء فلم يناقشا بشيء من مقدّماته، إلّا أنّهما أجابا بدعوىٰ الإجماع من جميع المسلمين ـ قبل ظهور الشيخ الحمصي ـ علىٰ أنّ الأنبياء أفضل من غيرهم.

وحينئذٍ يكفي في ردّهما نفي هذا الإجماع، فإنّ الإماميّة ـ قبل الشيخ الحمصي وبعده ـ قائلون بأفضليّة عليّ والأئمة من ولده، علىٰ جميع الأنبياء عدا نبيّنا صلّىٰ اللّٰه عليه وآله وسلّم، ويستدلّون لذلك بوجوهٍ من الكتاب والسُنّة، أمّا من الكتاب فالآية المباركة، وأمّا من السُنّة فالحديث الذي ذكره الحمصي....

وقد عرفت أنّ الرازي والنيسابوري لم يناقشا فيهما.

ومن متقدّمي الإماميّة القائلين بأفضليّة أمير المؤمنين علىٰ سائر الأنبياء هو: الشيخ المفيد، المتوفّىٰ سنة ٤١٣، وله في ذلك رسالة، استدلّ فيها بآية المباهلة، واستهلّ كلامه بقوله: «فاستدلّ به من حكم لأمير المؤمنين صلوات اللّٰه وسلامه عليه بأنّه أفضل من سالف الأنبياء عليهم السلام وكافّة الناس سوىٰ نبيِّ الهدىٰ محمّد عليه وآله السلام بأن قال...» وهو صريح في أنّ هذا قول المتقدّمين عليه[1].

(١) تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ سائر الصحابة. رسالة مطبوعة في المجلّد السابع من موسوعة مصنّفات الشيخ المفيد.

فظهر سقوط جواب الرازي ومن تبعه.

لكنّ أبا حيّان نسب إلىٰ الرازي القول بفساد استدلال الحمصي من وجوه ـ ولعلّه نقل هذا من بعض مصنّفات الرازي غير التفسير ـ فذكر ثلاثة وجوه:

أمّا الأوّل: فبطلانه ظاهر من غضون بحثنا، علىٰ أنّ الرازي قررّه ولم يشكل عليه، فإن كان ما ذكره أبو حيّان من الرازي حقّاً فقد ناقض نفسه.

وأمّا الثاني: فكذلك، لأنها أقوال لا يعبأ بها، إذ الموجود في صحيح مسلم، وجامع الترمذي، وخصائص النسائي، ومسند أحمد، ومستدرك الحاكم... وغيرها... أنّ الذي هو غيره هو عليّ لا سواه... وهذا هو القول المتّفق عليه بين العامّة والخاصّة، وهم قد ادّعوا الإجماع ـ من السلف والخلف ـ علىٰ أن صحيحي البخاري ومسلم أصحّ الكتب بعد القرآن، ومنهم من ذهب إلىٰ أن صحيح مسلم هو الأصحّ منهما.

وأمّا الثالث: فيكفي في الردّ عليه ما ذكره الرازي في تقرير كلام الشيعة في الاستدلال بالآية المباركة، حيث قال: «وذلك يقتضي الاستواء من جميع الوجوه...» فإن كان ما ذكره أبو حيّان من الرازي حقّاً فقد ناقض نفسه.

علىٰ أنّه إذا كان «تكفي المماثلة في صفةٍ واحدة، وهي كونه من بني

هاشم» فلماذا التخصيص بعليٍّ منهم دون غيره؟!

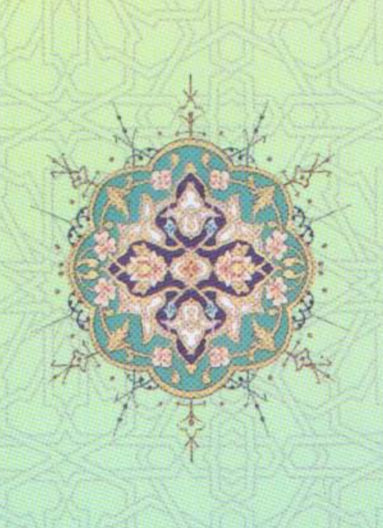
بقي حكمه بوضع الحديث الذي استدلّ به الحمصي، وهذا حكم لا يصدر إلاّ من جاهل بالأحاديث والآثار، أو من معاند متعصّب؛ لأنّه حديث متفق عليه بين المسلمين، ومن رواته من أهل السُنّة: عبدالرزاق بن همّام، وأحمد بن حنبل، وأبو حاتم الرازي، والحاكم النيسابوري، وابن مردويه، والبيهقي، وأبو نعيم، والمحبّ الطبري، وابن الصبّاغ المالكي، وابن المغازلي الشافعي...[1].

هذا تمام الكلام علىٰ آية المباهلة. وبالله التوفيق.

---

(١) وقد بحثنا عن أسانيده وأوضحنا وجوه دلالاته في الجزء التاسع عشر من كتابنا الكبير «نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار».

المحتويات





قم، شارع صفائية، فرع ٣٤ فرع ايراني زاده، رقم ٣٣
فكس: ٠٢٥١-٧٧٤٠٨٩٥، تليفون: ٠٢٥١-٧٧٣٩٩٦٨
قسم النشر والتوزيع: تليفكس: ٧٧٤٢٢١٢